

## لغة الجسد في النص القرآني الشريف أمثلة جزئية وموجهات كلية

يظهر من هذا العنوان أنه قائم على ثلاثة أقطاب مؤسسية، أولها لغة الجسد، وثانيها النص القرآني، وثالثها نماذج جزئية تعقبها موجهات كلية، أما لغة الجسد فهي باب القول ومطلب البحث، وأما النص القرآني فمضمار البحث وميدانها، وأما النماذج الجزئية فهي أمثلة البحث وأدواته المجلية، وأما الموجهات الكلية فهي صفة المستخلص لما ورد في البحث من فكر ومباحث فرعية، وقد هدفت الباحثة إلى تمثيل "لغة الجسد" في النص القرآني الشريف، فوقف عند مباحث فرعية فيه أهمها تلمس الدلالة بين جسد اللغة ولغة الجسد، وتلمس دلالات حركة الرأس وهيئاته، ودلالات حركة العين وهيئاتها، ودلالات حركة اليد، والوجه وإيحاءاته، وحركة الأصابع، والمشية وأنواعها وإيحاءاتها، والتميمات المساندة في لغة الجسد.

د. مهدي عرار - جامعة بيزيت - ص.ب 14  
هاتف العمل: 00970 2 98 21 76  
الجوال: 00970 599 333 808  
الفاكس: 00970 2 2 982 981  
البريد الإلكتروني: marar@birzeit.edu

## في مقاصد العنوان:

يَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْعُنْوَانِ الْعَرِيضِ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْطَابٍ مُؤَسَّسَةٍ:

- أَوْلَاهَا لُغَةُ الْجَسَدِ.
- وَثَانِيهَا النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ الشَّرِيفُ.
- وَثَالِثُهَا نَمَازِجُ جُرَيْيَّةٍ تَعْقُبُهَا مُوجِّهَاتٌ كَلْبِيَّةٌ.

أَمَّا لُغَةُ الْجَسَدِ فَهِيَ بَابُ الْقَوْلِ وَمَطْلَبُ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ، وَأَمَّا النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ فَمِضْمَارُ الْمُبَاحَثَةِ وَمِيدَانُهَا، وَأَمَّا النَّمَاذِجُ الْجُرَيْيَّةُ فَهِيَ أَمْثَلَةُ الْمُبَاحَثَةِ وَأَدْوَانُهَا الْمَجَلِّيَّةُ، وَأَمَّا الْمَوْجِّهَاتُ الْكَلْبِيَّةُ فَهِيَ صَفْوَةُ الْمُسْتَخْلَصِ لِمَا وَرَدَ فِي الْمُبَاحَثَةِ مِنْ فِكْرٍ وَمَبَاحِثٍ فَرَعِيَّةٍ.

## تَلَمَّسُ الدَّلَالَةِ بَيْنَ لُغَةِ الْجَسَدِ وَجَسَدِ اللُّغَةِ:

### أولاً: جسد اللغة

مِنَ الْمُقَرَّرِ الْمُسْتَحْكَمِ أَنَّ لُغَةَ جَسَدًا بِنْيَوِيًّا يَشْفُ عَنْ مَعْنَى، وَأَنَّ هَذَا الْجَسَدَ مُؤْتَلَفٌ مِنْ مُسْتَوِيَّاتٍ لُغَوِيَّةٍ، وَأَنَّ كُلَّ مُسْتَوَى مِنْ تِلْكَ الْمُسْتَوِيَّاتِ يُفْضِي إِلَى مَعْنَى قَائِمٍ بِرَأْسِهِ، فَتَمَّ مُسْتَوَى صَوْتِيٌّ يُنْبِئُ عَنْ دِلَالَةٍ صَوْتِيَّةٍ، وَتَمَّ مُسْتَوَى صَرْفِيٌّ تَتَشَكَّلُ فِيهِ دِلَالَةٌ صَرْفِيَّةٌ، وَتَمَّ مُسْتَوَى مُعْجَمِيٌّ تَتَشَكَّلُ فِيهِ دِلَالَةٌ مُعْجَمِيَّةٌ، وَتَمَّ مُسْتَوَى تَرْكِيْبِيٌّ يُمَكِّنُ اسْتِشْرَافُ دِلَالَةٍ تَرْكِيْبِيَّةٍ فِيهِ، وَبِاسْتِجْمَاعِ تِلْكَ الْمُسْتَوِيَّاتِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ يَغْدُو النَّاتِجُ جَسَدَ اللُّغَةِ الْبِنْيَوِيِّ، وَبِاسْتِجْمَاعِ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ يَغْدُو النَّاتِجُ الْمَعْنَى الْبِنْيَوِيِّ.

وَلَكِنْ، مَنْ ذَا الَّذِي يُقْنَعُ اللَّغَوِيِّ أَنَّ الْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ مُتَعَيَّنٌ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْمُتَعَيِّنَةِ فِي تِلْكَ الْمُسْتَوِيَّاتِ فَقَطْ، أَوْ مِنَ الْمُتَحَصِّلِ مِنْ جَسَدِ اللُّغَةِ الْمَوْسُومِ أَنْفَاقًا؟ إِنَّ مَا يَقْدَمُهُ جَسَدُ اللُّغَةِ الْبِنْيَوِيِّ إِنَّمَا هُوَ الْمَعْنَى الْبِنْيَوِيُّ الْمَقَالِيُّ فَقَطْ، وَالْجَسَدُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُحِيطٍ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ، وَيُؤَثِّرُ فِيهِ، وَمِنْ هُنَا يَأْتِي فَضْلُ سِيَاقِ الْحَالِ، وَالْأَنْظَارِ الْخَارِجِيَّةِ، وَالْقُرَائِنِ، لِتَفْعَلِ فَعَلَهَا فِي تَشْكِيلِ الْمَعْنَى، وَبِذَا يَكُونُ الْمَعْنَى مُؤْتَلَفًا مِنَ الرَّافِدِينَ: الْمَعْنَى الْمَقَالِيَّةِ، وَالْمَعْنَى الْمَقَامِيَّةِ<sup>(1)</sup>.

لَعَلَّ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةَ فِي الشَّقِّ الْأَوَّلِ مِنَ التَّنَائِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ، وَهِيَ "جسد اللغة"، نُفْضِي بِالْبَاحِثِ إِلَى الْوُلُوجِ فِي الشَّقِّ الثَّانِي مِنْهَا، وَهِيَ "لغة الجسد".

### ثانياً: لغة الجسد

(1) انظر: تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، 337 وما بعدها.

أما لغة الجسد، ولنتواضع عليها في هذه المباحثة بأنها الرافد الصامت المُفْضِي إلى معنى بل معانٍ، فهي لغة عالمية، ولنا أن نُشَبِّه المعنى بأن له روافد تُغذِّيه، وأن هذه الروافد كالمجاري، فمنها المجرى الصائت، وهو الكلام الذي تتشكل به الرسالة فينعدُّ به التواصل، ومنها المجرى الصامت الذي عليه عقد الباب والموضوع، وقد تنقل الرسالة بالمجری الصائت، وقد يكون ذلك بتضافر المجريين، وقد يُغذِّي المعنى برافد المجرى الصامت.

وقد ألقى باحث أن تأثير الرسالة الكلية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- أولها 7% من المجرى الصائت.
- و38% مما يعترى المجرى الصائت؛ كالتنغيم، والنغمة، ودرجة الصوت.
- و55% من المجرى الصامت<sup>(2)</sup>.

وقد توصل آخر إلى مُستصْفَى من الرأى يقرب من هذا المُتقدِّم، فقد ألمح إلى أن الجزء الكلامي من المحادثة الوجيهة تأتلف في جزئها الأصغر من 35% من الرافد الصائت لتأدية المعنى، وفي جزئها الأكبر من 65% من الرافد الصامت القائم على أطراح الكلام، واسترفاد ما يقوم مقامه من حركات الجوارح، والشمائل، والإشارات<sup>(3)</sup>.

ولإمام الغزالي نظرات مُعجبة في تلمس أثر لغة الجسد في الإبانة، وتقدمها في مواضع على "جسد اللغة"، وقد أشار إلى أن المعنى لا يُؤخذ من جسد اللغة فقط، فهناك لغة الجسد، وهناك الأنظار الخارجية والسياقية، فالمعنى عند الإمام كلُّ متكامل له روافد مُتعددة تُفْضِي إليه، ويظهر ذلك في قولته المشهورة وهو يلحُب السبيل أمام دارسي المعنى: "فاعلم أن كلَّ من طلب المعاني أولاً من الألفاظ ضاع وهلك، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه"<sup>(4)</sup>.

وقد رأى أن الدلالة قد تتعين أحياناً بالفعل، والرمز، والإشارة<sup>(5)</sup>، ولذلك أفاض في حديثه عن القرائن، ومنها حركات الجوارح المُعبرة بلغة الجسد، وقد عرج الغزالي، غير مرة، عليها في مُستصفاه، فجعلها دوالاً مستقلةً تفعل في تشكيل المعنى، بل وصل الأمر به إلى عتبه إنكار

(2)

Pease, Body language, P. 6.

(3) Pease, Body Language, P.5.

(4) انظر: الغزالي، المستصفي، 55/1.

(5) انظر: الغزالي، المستصفي، 698/1.

كونها تابعةً للألفاظ كما في مذاهب بعض الأصوليين<sup>(6)</sup>، "فمن سلم أن حركة المتكلم، وأخلاقه، وعادته، وتغير لونه، وتقطيب وجهه وجبينه، وحركة رأسه، وتقليب عينيه، تابع للفظه؟ بل هذه أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوماً ضرورية"<sup>(7)</sup>.

ومن هذه الأدلة المستقلة التي عرض لها الإمام أنا نعرف عشق العاشق لا يقوله، بل بأفعال هي من أفعال المحبين، وما كان أكثرها وأجلاها لمن تبصر، وتنتهي كثرة هذه الدلالات إلى حد يحصل لنا علم قطعي بحبه، وكذلك ببغضه، إذا رؤيت منه أفعال ينتجها البغض، وكذلك نعرف غضبه وحجله لا بمجرد حمة وجهه، لكن الحمة إحدى الدلالات<sup>(8)</sup>، وغير ذلك من القرائن -بعبارة الغزالي- التي "لا يمكن حصرها في جنس، ولا ضبطها في وصف"<sup>(9)</sup>.

والحق أن هذه اللغة الصامتة العالمية تشبه في بعض وجوهها اللغة الصائتة، وليس الدارس بمبالغ لو قال إن بعض الظواهر التي تتجلى في جسد اللغة تتجلى في لغة الجسد، ولأنك ببعض الأمثلة على ذلك، وأولها "نظرية الدال والمدلول"، فللكلمة المعجمية جانبان: مادي ومعنوي، أما المادي فهو الدال، وهو الصورة الصوتية، وأما المعنوي فهو المدلول، وهو الصورة الذهنية التي تنفذ في النفس عند ورود الدال عليها، والحق أن الحركة الجسدية كذلك أمرها؛ إذ إن لها دالاً ومدلولاً.

أما الدال فهو الصورة التشكيلية التي تتجلى عليها الحركة؛ حركة الكف، أو اليد، أو العين، أو الحاجب، أو الوقفة... وأما المدلول فهو الصورة الذهنية المعنوية التي تسترشد دلالتها من الدال الحركي، فكلتاها -أعني الكلمة في اللغة الصائتة، والحركة في اللغة الصامتة (الجسدية)- تأتلف من دال ومدلول، والملمح الفراق بينهما غير متعين في المدلول، بل في ماهية الدال؛ إذ إنه في الصائتة صوتي ذو طبيعة رمزية، وفي الصامتة حركي ذو طبيعة رمزية أيضاً<sup>(10)</sup>.

(6) انظر: الغزالي، المستصفي، 66/2.

(7) انظر: الغزالي، المستصفي، 67/2.

(8) انظر: الغزالي، المستصفي، 40/1.

(9) انظر: الغزالي، المستصفي، 65/2.

(10) انظر: مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، مجلة دراسات،

عمان، المجلد 33، العدد 1، 2006، 107-108.

وَمِنْ مَوَاضِعِ التَّشَابُهِ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ ظَاهِرَةُ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، فَقَدْ يَحْدُثُ أَنْ يَقَعَ تَحْتَ الْكَلِمَةِ مَعْنِيَانِ أَوْ أَزِيدُ، لِتَغْدَوْ مِمَّا يَنْتَسِبُ إِلَى الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ كَالْعَيْنِ، فَإِنَّ الْحَرَكَةَ الْجَسَدِيَّةَ قَدْ يَقَعُ تَحْتَهَا مَعْنِيَانِ أَوْ أَزِيدُ، فَتَنْتَسِبُ إِلَى ظَاهِرَةِ "الْمُشْتَرَكِ الْحَرْكِيِّ":

- فَهَرَّةُ الرَّأْسِ يَقَعُ تَحْتَهَا مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ "الطَّرْبُ"، أَوْ "الْقَبُولُ"، أَوْ "الرَّفْضُ".
- وَالذَّالُّ "فَرَكُ الْكَفَيْنِ" قَدْ يَوْمِيٌّ بِمَدْلُولَيْنِ: أَوْلَهُمَا أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ قَدْ اعْتَرَاهُ بَرْدٌ فَأَتَاهَا، وَثَانِيَهُمَا أَنَّهُ فَرِحَ مُبْتَهَجٌ.
- وَتَحْرِيكُ أَصَابِعِ الْيَدِ إِلَى الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ حَرَكَةٌ مَوْضِعِيَّةٌ مَعَ بَقَاءِ الْإِبْهَامِ مَرْفُوعَةً ذُو دِلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَ النَّدَاءِ، أَوْ تَعَالٍ، وَقَدْ تَعْنِي: لَيْسَ لَدَيَّ، أَوْ غَيْرِ مَوْجُودٍ، أَوْ تَعْنِي الرَّفْضَ كَقَوْلِنَا "لا".

وَلِلْسِيَاقِ فَضْلٌ فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى فِي اللَّغَةِ الصَّائِنَةِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي اللَّغَةِ الصَّامِتَةِ، أَعْنِي لُغَةَ الْجَسَدِ، فَتَمَّ حَرَكَاتٌ جَسَدِيَّةٌ مُحْتَمَلَةٌ لِمَعَانٍ لَا قَبْلَ لَنَا بِاسْتِشْرَافٍ مَذْلُولِهَا عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ وَالتَّعْيِينِ إِلَّا بِالسِّيَاقِ الَّذِي يَرُدُّ فِيهِ هَذَا الدَّالُّ الْحَرْكِيُّ؛ كَالسِّيَاقِ الثَّقَافِيِّ، وَالْحَالِيِّ، وَالْقَرَأَنِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَحْتَفُّ بِهَا؛ وَذَلِكَ نَحْوُ حَكِّ الرَّأْسِ، فَهِيَ حَرَكَةٌ جَسَدِيَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ تَسْتَدْعِي مَعَانِي مَخْصُوصَةً فِي الذَّهْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا قَدْ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ آتِيهَا فِي رَأْسِهِ قَشْرَةٌ، أَوْ قَمَلٌ، أَوْ أَدَى، وَقَدْ تَدَلُّ عَلَى قَلْقِ الْمَرِّ وَاضْطِرَابِهِ، فَيُفْضِي هَذَا الْاضْطِرَابُ النَّفْسِيُّ الْجَوَانِيُّ إِلَى إِيْمَاءِ جِسْمِيٍّ بَرَّانِيٍّ، وَقَدْ تَدَلُّ مِنْ وَجْهَةٍ دِلَالِيَّةٍ أُخْرَى - عَلَى نَفَادِ الصَّبْرِ، أَوْ النِّسْيَانِ، أَوْ الْكُذْبِ...

إِخَالٌ أَنَّهُ يَصْحُ فِي الْفَهْمِ وَيَسْتَقِيمُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْمَرَّ إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يُعَيِّنَ مَعْنَى حَرَكَةٍ مَا فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظَرَ إِلَيْهَا فِي سِيَاقِهَا مُتَضَافِرَةً مَعَ حَرَكَاتٍ أُخْرَى، وَلَعَلْنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ نَتَحَدَّثُ عَنْ سِيَاقِ الْحَالِ الَّذِي يَفْعَلُ فِي تَشْكِيلِ الْمَعْنَى وَتَعْيِينِهِ<sup>(11)</sup>.

وَكَمَا أَنَّ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ قَدْ يَعْتَوِرُهُ كَلِمَتَانِ، بَلْ كَلِمَاتٌ، لِيَنْشَأَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ التَّرَادُفُ، فَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْحَرَكَاتِ قَدْ تَلْتَقِي عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، لِيَنْشَأَ بَعْدَ هَذَا "التَّرَادُفُ الْحَرْكِيُّ"، وَمِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الرَّفْضِ، فَلَهُ دَالَانِ أَوْ أَزِيدُ، كَالرَّفْضِ بِهَرَّةٍ فِي الرَّأْسِ، وَالرَّفْضِ بِالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ، وَالرَّفْضُ بِرَفْعِ الْحَاجِبِينَ إِلَى الْأَعْلَى مَعَ تَوْسِعِ الْعَيْنَيْنِ، فَحَرَكَةُ كُلِّ جَارِحَةٍ كَفَيْلٍ أَمِينٍ بِتَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الَّذِي قَدْ

(11)

تأتي به اللغة الصامتة. لعله يظهر بجلاء مما تقدم أن بعض النظريات الدلالية والمعجمية يمكن جداً أن تطبق على لغة الجسد، كالترادف، والمشتراك، والسياق<sup>(12)</sup>.

### لغة الجسد في التنزيل العزيز:

يلفي القارئ في التنزيل العزيز آيات كريمات تستمل على أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلى معانٍ، وقد تكون تلك الحركة سبيلاً من سبل وصف المعنى وتشكيله، وتكون سبيلها الكناية، كتقليب الكفين في مقام الندم في التنزيل، أو تقديم رجلٍ وتأخير أخرى في مقام الخيرة والتردد في كلامنا اليومي، وقد أجمع على أن "الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزيةً وفضلاً"<sup>(13)</sup>، ولو قيل: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإن القائل - كما يرى الجرجاني - يوحى له بالصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد، "وكان هذا أوقع من صريحه الذي هو قولك: بلغني أنك تتردد في أمرك، وأنت كمَنْ يقول: أخرج أو لا أخرج..."<sup>(14)</sup>.

وقد يكون ذكر هذه الحركات على سبيل وصف حقيقة عاشها فُطب من أقطاب الحديث أو الحدّث الكلامي؛ ذلك أنها وقعت فعلاً؛ ثم وصفها الله لنا على أنها كواشف لحالات نفسية، ومنها دلائل حركة الرأس وهيئته؛ كالرأس الخفيض المتطامن، وتلوية الرأس وإنغاضه، ومنها العين وهيئاتها المتباينة بتباين الحال النفسية والسياق، فتم العين المزدريّة المستهزئة، والأخرى الكارهة الساخطة، والثالثة الدائرة الوجلة، والرابعة الهامزة الغامزة، والخامسة المائلة الزائغة، والسادسة الضيقة الكليّة، وهناك اليد ودلائلها، والوجه، والحد، والعنق.

وفي هذه المباحثة الفرعية تعريج على الحركات الجسدية في التنزيل العزيز لبيان مواضعها، وهيئاتها، واستشراف أثرها في رسم المعنى، وتشخيصه، وتحليل الخطاب القرآني الشريف.

لننظر في بعض هذا آخذين بعين العناية فضلين لورود الحركات الجسدية في التنزيل العزيز؛ أولهما فضلها في أداء المعنى وتشخيصه، وثانيهما ارتفاع الكلام إلى طبقة الفصاحة كما تقدم أنفاً عند الجرجاني، وسينجلي بعداً عند الرمخسري، وأن ذلك "يجد السامع عنده في نفسه

(12) انظر: مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة، 107-108.

(13) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، 70.

(14) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، 70.

مِنَ الرَّوْعَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ مَا لَا يَجِدُهُ عِنْدَ لَفْظِ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ<sup>(15)</sup>. لِنَنْظُرَ فِي هَيْئَاتِ بَعْضِ الْحَرَكَاتِ الْجَسَدِيَّةِ وَدِلَالَاتِهَا فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ مُسْتَفْتِحِينَ ذَلِكَ بِحَرَكَةِ الرَّأْسِ وَدِلَالَاتِهَا:

### مِنْ دِلَالَاتِ حَرَكَةِ الرَّأْسِ وَهَيْئَاتِهَا:

لِلرَّأْسِ حَرَكَاتٌ وَهَيْئَاتٌ حَمَالَةٌ لِدِلَالَاتِ مُتَبَايِنَةٍ بِنَبَائِنِ الْحَالِ النَّفْسِيَّةِ وَالسِّيَاقِ، كَحَرَكَةِ تَنْبِيءٍ عَنِ الرَّفْضِ، وَأُخْرَى عَنِ الْقَبُولِ، وَثَالِثَةٌ عَنِ الْاسْتِهْزَاءِ، وَرَابِعَةٌ عَنِ الْإِنْكَارِ، وَخَامِسَةٌ عَنِ التَّجِيَّةِ، وَقَدْ اسْتَجْمَعَ بَعْضُ مَنْ يَتَّصِدَّرُونَ لِهَذَا الْمَطْلَبِ؛ مَطْلَبِ الْوُقُوفِ عَلَى لُغَةِ الْجَسَدِ، ثَلَاثَ هَيْئَاتٍ كَلِّيَّةٍ لِلرَّأْسِ:

- أَوَّلُهَا الرَّأْسُ الْخَفِيفُ الَّذِي قَدْ يَكُونُ لَهُ مَحْمُولَاتٌ دِلَالِيَّةٌ لَا قَبْلَ لَنَا بِتَعْيِينِهَا إِلَّا بِالسِّيَاقِ وَالْحَرَكَاتِ الْمُصَاحِبَةِ؛ كَالْخَجَلِ، أَوِ الْخَوْفِ، أَوِ الْخُضُوعِ، أَوِ الْاسْتِسْلَامِ، أَوِ الضَّعْفِ، أَوِ الْجُبْنِ.
- وَثَانِيهَا الرَّأْسُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي قَدْ يُلْمَحُ إِلَى الْكِبَرِ وَالتَّعَالِي، أَوِ الْعِدَاءِ، أَوِ الْإِبَاءِ، أَوِ الْإِزْدِرَاءِ.
- وَثَالِثُهَا الرَّأْسُ الْمُنْحَنِي الْمَثْنِي إِلَى جَانِبٍ، فَقَدْ يَوْمِي إِلَى الْفِتْنَةِ، أَوِ الْغَوَايَةِ، أَوِ الْمَلَاظَفَةِ، أَوِ الْحَنَانِ<sup>(16)</sup>.

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ وَرَدَتْ لِلرَّأْسِ هَيْئَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ:  
الرَّأْسُ الْخَفِيفُ الْمُتَطَامِنُ:

تُمْ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ<sup>(17)</sup>.

وَسِيَاقُ الْآيَةِ الشَّرِيفِ يُقَرِّرُ أَنَّ مُسَاءَلَةَ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الْمُفْجَمَةَ أَفْضَتْ إِلَى وُلُوجِهِمْ فِي بَابِ الْحَيْرَةِ، وَرَجَعَ النَّظَرُ، وَإِطْرَاقِ فِي التَّفْكِيرِ، وَلِلْمَرَّةِ أَنْ يَتَّصَّرَ حَالٌ مَنْ لَا حُجَّةَ لَهُ حِينَ يُسَاءَلُ، فَيُغْرَقُ فِي التَّفْكِيرِ، وَالتَّنْقِيرِ، وَالتَّأَمُّلِ، إِخَالٌ أَنَّ حَرَكَةَ رَأْسِهِ سَتَكُونُ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمَرْسُومَةِ أَنْفًا، وَالْمُنْبِنَةَ عَنِ ارْتِكَاسِهِ، وَأَوَّلُ خَاطِرٍ وَرَدَ عَلَى نَفْسِهِمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَنْطِقُونَ، "فَتَحَيَّرُوا وَعَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَنْطِقُ"<sup>(18)</sup>.

(15) انظر: الزمخشري، الكشاف، 89/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 454/6.

(16) انظر: باكو، لغة الحركات، 60-61.

(17) الآية (الأنبياء، 65).

(18) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 77/7، وانظر ما قاله القرطبي في الجامع، 200/11.

وَقَدِ التَّقَتِ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ إِلَى هَذَا التَّصْوِيرِ الْمُعْجَبِ الْمُبِينِ عَنْ حَالِهِمْ، فَالْمُرَادُ بِهِ  
"وَصَفُ مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ، وَالْإِسْتِكَانَةِ، وَالْإِطْرَاقِ عِنْدَ لُزُومِ الْحُجَّةِ، فَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا بِالْمُتَرَدِّي  
عَلَى رَأْسِهِ تَدْوِيخًا بِنُصُوعِ الْبَيَانِ، وَإِبْلَاسًا عِنْدَ وُضُوحِ الْبِرْهَانِ" (19).

وَمِنْ مِثْلِ حَرَكَةِ الرَّأْسِ الْمُنْبِئَةِ عَنِ الْعَجْزِ وَالذَّلِّ قَوْلُهُ الْحَقُّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "وَلَوْ تَرَى إِذِ  
الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا..." (20). وَلِلْمَرَّةِ أَنْ يُسْرِحَ  
خَوَاطِرَهُ مُتَمَثِّلًا هَذِهِ الصُّورَةَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَمَّا الْمُجْرِمُونَ الَّذِي أَوْتُوا كُتُبَهُمْ  
بِشِمَائِلِهِمْ فَقَدْ نَدِمُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَدِمٍ، وَصَارُوا أَدِلَّةً قَلْبًا وَقَالِبًا، فَالرُّؤُوسُ مَنكُوسَةٌ مُتَطَامِنَةٌ مُطَاطَأَةٌ  
مِنَ الذَّمِّ، وَالْخِزْيِ، وَالْحُزْنِ، وَالذَّلِّ، وَالْعَمِّ (21).

### تَلْوِيَةُ الرَّأْسِ:

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ  
مُسْتَكْبِرُونَ" (22).

وَفِي تَلْوِيَةِ الرَّأْسِ يَتَجَلَّى مَعْنَى الْإِسْتِهْزَاءِ وَالْإِبَاءِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ حَرَكَةٌ جَسَدِيَّةٌ شَائِعٌ  
اسْتِعْمَالُهَا، بَيِّنٌ مَعْنَاهَا فِي يَوْمِنَا هَذَا، وَسِيَاقُ الْآيَةِ يُبَيِّنُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي جَاءَ فِي جَنْبِ  
الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِصِفَتِهِمْ مَشَى إِلَيْهِمْ عِشَائِرُهُمْ قَائِلِينَ: افْتَضَّحْتُمْ بِالْتَّفَاقِ، فَاطْلُبُوا أَنْ  
يُسْتَعْفَرَ لَكُمْ، فَكَانَ جَوَابُهُمْ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ اسْتِهْزَاءً وَإِبَاءً (23).

وَقَدِ النَّمَسَ الطَّبْرِسِيُّ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ مَعْنِيَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ:

- أَوْلُهُمَا أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا تَحْرِيكَهَا بِالْهَزْءِ.
- وَثَانِيَهُمَا أَنَّهُمْ أَمَالُوهَا إِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ، وَكَرَاهَةً لِذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُفْرًا  
وَاسْتِكْبَارًا (24)، وَفِي إِمَالَتِهَا بِالْهَزْءِ إِعْرَاضٌ عَنِ الْحَقِّ، فَالْمَعْنَيَانِ الْوَاقِعَانِ تَحْتِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ  
الْجَسَدِيَّةِ صَالِحَانِ لَا يَتَدَافَعَانِ.

(19) انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، 156.

(20) الآية (السجدة، 12).

(21) انظر: القرطبي، الجامع، 64/14.

(22) الآية (المنافقون، 5).

(23) انظر: القرطبي، الجامع، 83/18.

(24) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 14/10.

## إنغاض الرأس:

"فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ" (25).

يُظْهِرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَشْهُدُ حِوَارٍ يَتَجَادَبُهُ قُطْبَانِ: مُؤْمِنُونَ مُثَبِّتُونَ، وَجَاهِدُونَ مُنْكَرُونَ يَتَوَسَّلُونَ لِبَتِّ انْكَارِهِمْ بِالرَّافِدَيْنِ: الصَّامِتِ، وَهُوَ انْغَاضُ الرَّأْسِ، وَالصَّائِتِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ: "فَسَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ"؟ أَمَا عَنْ دِلَالَةِ انْغَاضِ الرَّأْسِ فَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى تَحْرِيكِهِ تَحْرِيكَ الْمُسْتَهْزِئِ الْمُسْتَخْفِ الْمُسْتَبْطِ لِمَا أُنْذِرُوا بِهِ (26)، وَقَدْ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَأَنْغَضَ رَأْسَهُ: أَيَّ حَرَكَه كَالْمَتَّعِجِّ مِنَ الشَّيْءِ (27).

## مِنْ دِلَالَاتِ حَرَكَةِ الْعَيْنِ وَهَيْئَتِهَا:

جَاءَ فِي "العقد الفريد" أَنَّ "العَيْنَ بَابُ الْقَلْبِ، فَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ ظَهَرَ فِي الْعَيْنِ" (28)، وَقَدْ رَوَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: "إِنِّي لِأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ، وَأَعْرِفُ فِيهَا إِذَا أَنْكَرْتُ، وَأَعْرِفُ فِيهَا إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكَرْ، أَمَا إِذَا عَرَفْتُ فَتَخَوَّصُ (29)، وَأَمَا إِذَا أَنْكَرْتُ فَتَنْجَحُظُ، وَأَمَا إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكَرْ فَتَسْجُو" (30).

وَقَدْ عَقَّدَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بَابًا فِي "العقد" سَمَّاهُ "الاستدلال بِاللَّحْظِ عَلَى الضَّمِيرِ" (31)، وَقَدْ أوردَ فِيهِ نَمَازِجَ فَاقِعَةَ الدَّلَالَةِ مِنَ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْأَدْبِيِّ عَلَى أَثَرِ الْعَيْنِ فِي التَّوَاصُلِ وَالْإِبَانَةِ.

وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَيْنِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الشُّعْرَاءِ، وَخَاصَّةً فِي مَقَامَاتِ الْعَشْقِ وَالْعَشَاقِ، وَحَضْرَاتِ الْاسْتِخْفَاءِ وَالرَّمْزِ، وَلَا بَأْسَ بِإِيرَادِ نَمُودَجِينَ مُمَهَّدِينَ لِاسْتِشْرَافِ هَذَا الْمَبْحَثِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَشِيَّةً أَهْلِهَا      إِشَارَةً مَخْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ  
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا      وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّيمِ (32)

(25) الآية (الإسراء، 51).

(26) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 205/6.

(27) انظر: القرطبي، الجامع، 178/10.

(28) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 115/2.

(29) "تخوَّصَ" فعل مضارع، والخوص غُور العين، والحوص، بالصاد، ضيقها.

(30) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 115/2.

(31) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 115/2.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ تَغْيِيبُ الْكَلَامِ فِي سِيَاقِ الْعَشْقِ، وَاسْتِرْفَادُ سَفِيرِهِ الْعَيْنِ:  
 وَإِذَا التَّقَيْنَا وَالْعِيُونَ رَوَامِقُ صَمَتَ اللِّسَانِ وَطَرْفُهَا يَتَكَلَّمُ  
 تَشْكُو فَأَفْهَمُ مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا وَيَرُدُّ طَرْفِي مِثْلَ ذَلِكَ فَتَقْتَهُمْ<sup>(33)</sup>

وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَيْنِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ صُورٌ حَرَكَتِيَّةٌ تَتَّبِأَيْنُ بِتَبَائِنِ السِّيَاقِ وَالْحَالِ، فَانْبَنَى عَلَى ذَلِكَ تَبَائِنٌ فِي الدَّلَالَةِ الَّتِي تُرْسَخُ لَهَا كُلُّ حَرَكَةٍ لِلْعَيْنِ، وَهَذَا مِنْ وَجْهَةٍ أُخْرَى - مِمَّا يَنْدَرُجُ تَحْتَ بَابِ "وَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ"، فَهَنَّاكَ:

- الْعَيْنُ الْمُرْدَرِيَّةُ الْهَارِيَّةُ.
- وَالْعَيْنُ الْكَارِهَةُ السَّخِطَةُ.
- وَالْعَيْنُ الدَّائِرَةُ الْوَجِلَةُ.
- وَالْعَيْنُ الْمَائِلَةُ الرَّانِعَةُ.
- وَالْعَيْنُ الصَّيْقَةُ الْكَلِيلَةُ.
- وَالْعَيْنُ الْهَامِرَةُ الْغَامِرَةُ.

لِنَتَبَصَّرَ فِيمَا يَأْتِي بِسَطًا لِلْقَوْلِ، وَرَفْعًا لِلْإِجْمَالِ الْمُتَقَدِّمِ:

### الْعَيْنُ الْمُرْدَرِيَّةُ الْهَارِيَّةُ:

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ- عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا"<sup>(34)</sup>، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا عَيْنُ الْكَافِرِ الْجَاحِدِ الَّتِي يَسْتَصْعِرُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءَ، وَمَا كَانَ جَوَابَ نُوْحٍ إِلَّا أَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ يَسْتَخْفَوْنَهُمْ، وَيَسْتَقْلَوْنَهُمْ، وَتَحْتَقِرُهُمْ أَعْيُنُهُمْ، لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا"<sup>(35)</sup>.

### الْعَيْنُ الْكَارِهَةُ السَّخِطَةُ:

<sup>(32)</sup> انظر: ابن رشيقي، العمدة، 309/1، والأبيات لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، 204.

<sup>(33)</sup> انظر: ابن داود، الزهرة، 150/1.

<sup>(34)</sup> الآية (هود، 31).

<sup>(35)</sup> انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 199/5، وانظر ما قاله القرطبي فيها، الجامع، 19/9، وأبو حيان،

البحر المحيط، 219/5.

وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ فِي قَوْلِهِ -تَبَارَكَ-: "وَأَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ"<sup>(36)</sup>. وَقَدْ كَثُرَ كَلَامُ الْمُفَسِّرِينَ عَنِ دَلَالَةِ الْعَيْنِ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّرِيفِ، وَالظَّاهِرُ أَنْ هَيئَتَهَا هُنَا تُؤَدِّنُ بِتَعَيِّنِ مَعْنَى الْعِدَاءِ، وَالْمَعْنَى الْكَلْبِيِّ: يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالِدَّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ، نَظَرَ عَدَاوَةٍ، وَبُغْضٍ، وَإِنْكَارٍ لِمَا يَسْمَعُونَهُ، فَكَأَنَّهُمْ يَكَادُونَ يَصْرَعُونَكَ بِجِدَّةٍ نَظَرِهِمْ تِلْكَ، وَقَدْ عَرَّجَ الطَّبْرَسِيُّ عَلَى أَثَرِ رَسْمِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي تَوْصِيفِ الْمَعْنَى، فَهَذَا "مُسْتَعْمَلٌ فِي الْكَلَامِ، يَقُولُونَ: نَظَرَ إِلَى فُلَانٍ نَظْرَةً يَكَادُ يَصْرَعُنِي، وَنَظْرًا يَكَادُ يَأْكُلُنِي فِيهِ، وَتَأْوِيلُهُ كُلُّهُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى نَظْرًا لَوْ أَمَكْنَهُ مَعِيَ أَنْ يَأْكُلُنِي أَوْ يَصْرَعُنِي لَفَعَلٌ"<sup>(37)</sup>.

### الْعَيْنُ الدَّائِرَةُ الْوَجِلَةُ:

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ- فِي وَصْفِ الْمُنَافِقِينَ: "أَشْحَةً عَلَيْكُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ"<sup>(38)</sup>، وَسِيَاقُ الْآيَةِ الشَّرِيفِ يَدُورُ فِي مِضْمَارِ خَوْفِهِمْ مِنَ الْقِتَالِ وَأَنْصِرَافِهِمْ عَنْهُ، فَهُمُ الْأَشْحَةُ الْأَضْنَاءُ وَقَتَّ الْبَاسِ وَالشَّدَادِ، وَالسَّالِقُونَ بِالْأَسِنَّةِ حَدَادٍ، وَقَدْ تَجَلَّى أَثَرُ خَوْفِهِمْ وَتَجَافِيهِمْ عَنْهَا فِي الْعُيُونِ الدَّائِرَةِ الْمُضْطَرِبَةِ، فَإِذَا مَا ذُكِرَ الْقِتَالُ صَارُوا يَنْظُرُونَ كَمَا يَنْظُرُ الْمَغْشِيُّ عَلَيْهِ مِنْ مُعَالَجَةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَذَرًا، وَخَوْرًا، وَلِوَادًا<sup>(39)</sup>، وَقَدْ أَجَادَ الْقُرْطُبِيُّ فِي اسْتِشْرَافِ مَعْنَى حَرَكَةِ هَذِهِ الْجَارِحَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّرِيفِ، فَدُورَانُ الْأَعْيُنِ بَاعِثُهُ ذَهَابُ الْعَقْلِ حَتَّى لَا يَصِحَّ مِنْهُمْ النَّظَرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ، وَقِيلَ "لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ حَذَرًا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْقَتْلُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ"<sup>(40)</sup>.

### الْعَيْنُ الْهَامِرَةُ الْغَامِرَةُ:

وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ الْعَيْنِيَّةُ فِي قَوْلِهِ -تَبَارَكَ-: "وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ"<sup>(41)</sup>، وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي "خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ" أَقْوَالٌ وَمَذَاهِبٌ لَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَهَا، وَأَمَّا يَعْنِينَا مَا يَنْتَسِبُ إِلَى لُغَةِ الْجَسَدِ بِنَسَبِ حَمِيمٍ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ خِيَانَتَهَا هِيَ مُسَارَقَةُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ

<sup>(36)</sup> الآية (الْقَلَمِ، 51).

<sup>(37)</sup> انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 78/10. وقد قال القرطبي إن المعنى قد يكون "يعتانونك"، وينظرون إليك شزرا بتحديق شديد. انظر: القرطبي، الجامع، 166/18، والشريف الرضي، تلخيص البيان، 300، وأبو حيان، البحر المحيط، 311/8.

<sup>(38)</sup> الآية (الأحزاب، 19).

<sup>(39)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 255/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 214/7.

<sup>(40)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 101/14، وانظر ما قاله الطبرسي، مجمع البيان، 108/8.

<sup>(41)</sup> الآية (غافر، 19).

إِلَيْهِ، وَقِيلَ هُوَ الرَّمْزُ بِالْعَيْنِ<sup>(42)</sup>، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ هِيَ الْهَمْزَةُ بِالْعَيْنِ، وَالرَّمْزُ بِهَا، وَالْإِغْمَاضَةُ فِيمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ<sup>(43)</sup>.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى دِلَالَةِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، فَعَدَّ قَوْلَ الْحَقِّ "خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ" اسْتِعَارَةً يُرَادُ بِهَا الرَّيْبُ فِي كَسْرِ الْجَفْنِ، وَمَرَامِزِ الْعْيُونِ، وَقَدْ سَمِيَ الْحَقُّ ذَلِكَ خِيَانَةً لِأَنَّهُ أَمَارَةٌ لِلرَّيْبَةِ، وَمُجَانِبٌ لِلْعَقَّةِ<sup>(44)</sup>، وَقَدْ قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي مَعْرِضِ تَعْرِيجِهِ عَلَى خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ: لَمَّا كَانَتْ الْأَفْعَالُ الَّتِي يُفْصَدُ بِهَا التَّكْتُمُ بَدَنِيَّةً فَأَخْفَاهَا "خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ" مِنْ كَسْرِ جَفْنٍ، وَعَمَزٍ، وَنَظَرَ يُفْهِمُ مَعْنَى، أَوْ قَلْبِيَّةً صَمِيرِيَّةً، ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ عِلْمَهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِمَا التَّلَقُّ التَّامَّ<sup>(45)</sup>.

### الْعَيْنُ الْمَائِلَةُ الزَّائِغَةُ:

وَقَدْ تَجَلَّى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ -تَبَارَكَ-: "إِذْ جَاوَوْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ"<sup>(46)</sup>، وَلِلْمَرَّةِ أَنْ يَتَخَيَّلَ فِي الْمَوْقِفِ ذَلِكَ أَعْدَاءٌ يَنْرَبِّصُونَ بِالنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ الدَّوَائِرَ، وَمُنَافِقِينَ مُرْجِفِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَخَطَرًا مُحْدَقًا مُحِيطًا كَاِحَاطَةَ الْخَنْدَقِ بِهَا، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِمْ، فَعَدَّتْ دَالَّةً نَاطِقَةً بِلِسَانِ الْمَقَالِ وَالْحَالِ، فَزَيْغُهَا مِثْلُهَا عَنْ مُسْتَوَى نَظَرِهَا فِعْلَ الْوَالِهِ الْجَزْعِ<sup>(47)</sup>، فَقَدْ مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَّا إِلَى عَدُوِّهَا مُقْبِلًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، "وَعَدَلْتِ عَنْ مَقَرِّهَا مِنَ الدَّهْشَةِ وَالْحَيْرَةِ كَمَا يَكُونُ الْجَبَانُ فَلَا يَعْلَمُ مَا يُبْصِرُ"<sup>(48)</sup>.

وَقَدْ أَلْمَحَ إِلَى هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْعَيْنِيَّةِ الشَّرِيفِ، فَقَالَ مُسْتَشْرِفًا مَعْنَى هَذَا الْوَصْفِ الْجَسَدِيِّ: "قَالَ مُرَادٌ بِهِ تَشَتَّتْ أَلْحَاطُهَا، وَعُدُولُهَا عَنْ جِهَةِ اسْتِقَامَتِهَا نَظَرًا إِلَى مَطَالِعِ الْخَوْفِ، وَجَزَعًا مِنْ مَوَاقِعِ السَّيْفِ، وَمِنْ عَادَةِ الْخَائِفِ الْمُتَوَقِّعِ أَنْ يَكْثَرَ التَّفَاتُهِ، وَتَنَقَّسَمَ الْحَاطَةُ"<sup>(49)</sup>.

### الْعَيْنُ الضَّيِّقَةُ الْكَلِيلَةُ:

(42) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 335/8.

(43) انظر: القرطبي، الجامع، 198/15.

(44) انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، 242.

(45) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 438/7.

(46) الآية (الأحزاب، 10).

(47) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 211/7.

(48) انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 95/8، والقرطبي، الجامع، 95/14.

(49) انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، 218.

وَقَدْ تَجَلَّى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ"<sup>(50)</sup>، وَقَدْ وَقَفَ بَعْضُ الْقَرَّاءَةِ عِنْدَ "خَاشِعِينَ" مُسْتَشْرِفِينَ مَفْصِلًا صَوْتِيًّا لِلإِبَانَةِ عَنِ الْمَعْنَى، ذَاهِبِينَ إِلَى أَنَّ شِبْهَ الْجُمْلَةِ "مِنَ الدَّلِّ" مُتَعَلِّقٌ بِ"يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ"<sup>(51)</sup>، وَقَدْ التَّمَسَ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ "طَرْفٍ خَفِيٍّ" دِلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، فَقَدْ يَكُونُ أَنَّهُمْ لَا يَرْمُقُونَ أَبْصَارَهُمْ لِلنَّظَرِ رَمَقًا تَامًا، لِأَنَّهُمْ نَاكِسُو الرُّؤُوسِ، وَالْعَرَبُ تَصِفُ الدَّلِيلَ بِعَضِّ النَّظَرِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَكَأَنَّ حَرَكَةَ عَيْنِهِمْ تُقْضِي إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ، وَقَدْ يَكُونُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِجَمِيعِ أَبْصَارِهِمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ<sup>(52)</sup>، وَلَعَلَّ الْأَشْبَهَ وَالْأَلْيَقَ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ أَنَّ الْمُتَعَيِّنَ مِنْ وَصْفِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ أَنَّ نَظْرَهُمْ إِلَيْهَا هُوَ نَظْرُ الْخَائِفِ الدَّلِيلِ، وَالْمُرْتَابِ الظَّنِّينِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ إِلَّا مُسْتَرْقًا، وَلَا يَعُضُّ إِلَّا مُشْفِقًا<sup>(53)</sup>.

وَالْحَقُّ أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ قَدْ اسْتَشَفَّ هَذَا الْمَعْنَى قَبْلًا، فَأَلْمَحَ إِلَى أَنَّ نَظْرَهُمْ يَبْتَدِئُ مِنْ تَحْرِيكِ لِأَجْفَانِهِمْ ضَعِيفٍ خَفِيٍّ بِمُسَارَقَةٍ، كَمَا تَرَى الْمَصْبُورَ يَنْظُرُ إِلَى السَّيْفِ، وَهَكَذَا نَظَرُ النَّاطِرِ إِلَى الْكَارِهِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَجْفَانَهُ عَلَيْهَا، وَيَمْلَأُ عَيْنَهُ مِنْهَا كَمَا يَفْعَلُ فِي نَظَرِهِ إِلَى الْمُتَحَابِّ<sup>(54)</sup>.

وَبَعْدُ، فَبَابُ الْحَدِيثِ عَنِ الْعُيُونِ يَطُولُ، وَفَضْلُهَا فِي الدَّلَالَةِ وَالتَّوَاصُلِ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى عَلَى الْمَرْءِ فِي مُخَاطَبَاتِهِ التَّيْمِيَّةِ، وَحَسْبِي بَعْدَ ذَلِكَ كَلِمَةُ قَوْلِ الشَّاعِرِ مُسْتَشْرِفًا فَضْلَ الْعَيْنِ فِي التَّوَاصُلِ، مُلْتَمِسًا وَشَائِحَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ، مُقَرَّرًا صَمْتَ الْأَفْوَاهِ، وَنُطْقَ الْعُيُونِ فِي مَوَاضِعَ:

إِنَّ الْعُيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ شَوَاهِدٌ  
فَبَغِيضُهَا لَكَ بَيِّنٌ وَحَبِيبُهَا

وَإِذَا تَلَاخَظَتِ الْعُيُونُ تَفَاوَضَتْ  
يَنْطِئْنَ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةً فَمَا

يَخْفَى عَلَيْكَ بَرِيئُهَا وَمُرِيئُهَا<sup>(55)</sup>

(50) الآية (الشورى، 45).

(51) انظر: القرطبي، الجامع، 31/16، وأبو حيان، البحر المحيط، 501/7.

(52) انظر: القرطبي، الجامع، 31/16، والطبرسي، مجمع البيان، 43/9.

(53) انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، 250.

(54) انظر: الزمخشري، الكشاف، 474/3، وأبو حيان، البحر، 501/7.

(55) انظر: الأبي، الأنس والعرس، 178، وقد نسبه إلى ابن درهم، وابن عبد ربه، العقد الفريد، 116/2،

ونسبه إلى محمود الوراق.

## من دلالات حركة اليد:

- يَنْجَلَى مَعْنَى النَّدَمِ مِنْ حَرَكَاتِ جَسَدِيَّةٍ فِي ثَلَاثِ هَيْئَاتٍ مِضْمَارِهَا الْيَدُ، وَهِيَ:
- "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا"<sup>(56)</sup>.
  - "يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا"<sup>(57)</sup>.
  - "وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا"<sup>(58)</sup>.

ها نحنُ أولاءِ نَعُودُ إِلَى ظَاهِرَةِ التَّرَادُفِ فِي الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ الثَّلَاثَ تَلْتَقِي عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ جَمَاعُهُ النَّدَامَةُ وَالْأَسْفُ.

- أَمَّا الْأُولَى فَهِيَ حِكَايَةُ حَالِ رَجُلٍ أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ نَدَامَةً عَلَى مَا أَنْفَقَ فِي جَنَّتِهِ لَمَّا أَحْبَطَ بِنَمْرِهِ، فَقَدْ أَلْفَاها خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا.
- أَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ حِكَايَةُ حَالِ ظَالِمٍ يَعَضُّ عَلَى يَدَيْهِ نَدَامَةً، فَالْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.
- أَمَّا الثَّالِثَةُ فَهِيَ حِكَايَةُ حَالِ قَوْمٍ اتَّخَذُوا مِنْ حَلِيْبِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمَّا فَاوُوا إِلَى رُشْدِهِمْ، وَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ.

وَاللَّافِتُ لِلْحَاطِرِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ تَتَقَارَبُ فِي سِيَاقِهَا الْكَلْبِيِّ وَحَرَكَتِهَا، فَأَوْلُهَا، كَمَا يَظْهَرُ، ظَلْمٌ لِلنَّفْسِ، كَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَنْ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ فِي الْأُولَى، وَالَّذِي اتَّخَذَ خَلِيلَ سَوْءٍ فِي الثَّانِيَةِ، وَالَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ فِي الثَّالِثَةِ، وَثَانِيهَا نَدَمٌ وَلَاتٌ حِينَ الْمُنْدَمِ، وَيَعْقُبُ هَذَا كُلُّهُ حَالٌ نَفْسِيَّةٌ تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ كَمَا ظَهَرَتْ عَلَى الْيَدِ، فَالْأَوَّلُ أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَهَيْئَةُ تَقْلِيْبِ الْكَفَّيْنِ أَنْ يُبْدِيَ بَاطِنَ كَفِّهِ، ثُمَّ يُعَوِّجُ كَفَّهُ حَتَّى يَبْدُو ظَهْرَهَا، وَهِيَ فِعْلَةٌ النَّادِمِ الْمُتَحَسِّرِ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فَاتَهُ، الْمُتَأَسِّفِ عَلَى فُقْدَانِهِ، وَقِيلَ: أَصْبَحَ يَصْفِقُ بِيَدَيْهِ<sup>(59)</sup>.

<sup>(56)</sup> الآية (الكهف، 42).

<sup>(57)</sup> الآية (الفرقان، 27).

<sup>(58)</sup> الآية (الأعراف، 149).

<sup>(59)</sup> انظر ما قيل فيها: الصولي، أدب الكتاب، 16، وأبو حيان، البحر المحيط، 123/6، والقرطبي،

الجامع، 266/10.

أما في الثانية، وهي عَضُّ الظالم على يديه، فهي كذلك فعلة النادم المتجعج، وقد عدّها أبو حيان مجازاً يُعبرُ بها عن التحير، والغم، والندم، والتجعج، فقد جاء في المثل: "يأكلُ يديه ندماً، ويسيلُ دمه دماً"<sup>(60)</sup>.

أما في الثالثة، وهي السقوط في اليد، فهذا أسلوب كِنائِي ليس فيه من الحقيقة شيء، فيقال لكلِّ من ندم وعجز عن شيء: سقط في يده، وأسقط في يده<sup>(61)</sup>. ولما عرج الرّمخسري على هذه الآية أشار إلى أنّ المعنى: "اشتدّ ندمهم وحسرتهم؛ لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرتُه أن يعضّ يده غمّاً، فنصير يده مسقوطاً فيها، لأنّ فاه قد وقع فيها"<sup>(62)</sup>، وقيل إنّها مأخوذة من هيئة جسدية ناطقة تعترى النادم، ولذلك يُطأطئ رأسه، ويضع دقنه على يده، مُعتمداً عليها، ويظلُّ على صورة لو نزعَتْ يده لسقط على وجهه، كأنّ اليد مسقوطٌ فيها<sup>(63)</sup>، وصفوة القول في هذا الأسلوب الكِنائِي الرّفيح أنّها "لا شيء على الحقيقة هناك سقط في أيديهم"<sup>(64)</sup>.

وقد وقف الرّمخسري عند هذه الحركات مُلمحاً إلى ذيوها بين الناس، وتواضعهم على معناها، فقد أشار إلى أنّ "عضّ الأنامل، واليدين، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان، والأرم"<sup>(65)</sup>، وفروعها، كِنائات عن الغيظ والحسرة، لأنّها من روافدها، فيذكر الرادفة، ويُدلُّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه<sup>(66)</sup>.

### حَرَكََةُ الْيَدِ بَيْنَ إِيمَاءِ السُّكُوتِ وَإِبْدَاءِ الْغَيْظِ:

<sup>(60)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 454/6، والقربطبي، الجامع، 19/13، والطبرسي، مجمع البيان، 232/7.

<sup>(61)</sup> انظر: الفراء، معاني القرآن، 393/1، وأبو عبيدة، مجاز القرآن، 228/1، والأخفش، معاني القرآن، 337، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 172، واليزيدي، غريب القرآن، 138.

<sup>(62)</sup> انظر: الرّمخسري، الكشاف، 118/2.

<sup>(63)</sup> انظر هذه التقاسير: أبو حيان، البحر المحيط، 392/4، وقد عرج على معنى آخر، وهو أنها مأخوذة من "السقيط"، وهو ما يغطي الأرض بالغدوات شبه الثلج، والسقيط ينوب بأدنى حرارة ولا يبقى، ومن وقع في يده السقيط لم يحصل على شيء منه البتة، فصار هذا القول مثلاً لكل من خسر، وكانت عاقبته الندامة.

<sup>(64)</sup> انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، 60.

<sup>(65)</sup> أرم على الشيء: عض عليه، وأرّمه أكله.

<sup>(66)</sup> انظر: الرّمخسري، الكشاف، 89/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 454/6.

ظَهَرَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ" (67)، وَقَدْ تَبَايَنَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي اسْتِشْفَافِ هَيْئَةِ رَدِّ أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَبَايُنًا ائْتَبَى عَلَيْهِ اِخْتِلَافٌ فِي دِلَالَةِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ، فَقَدْ قِيلَ:

- إِنَّهَا تَوْمِيٌّ إِلَى الْعَيْظِ وَالْكَيْدِ، فَقَدْ جَعَلُوا أَيْدِيَّ أَنْفُسِهِمْ فِي أَفْوَاهِ أَنْفُسِهِمْ لِيَعَضُّوْهَا عَيْظًا، وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ" (68).
- إِنَّهَا تَوْمِيٌّ إِلَى الْخَيْرَةِ وَالْعَجَبِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا كِتَابَ اللَّهِ، فَعَجِبُوا وَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ مُطْرِقِينَ مُتَأَمِّلِينَ.
- إِنَّهَا إِشَارَةٌ مَعْنَاهَا "اسْكُتْ"، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ أَشَارُوا بِأَصَابِعِهِمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ أَنْ اسْكُتْ تَكْذِيبًا لَهُ، وَرَدًّا لِقَوْلِهِ، وَاسْتِنْبَاحًا لِمَا جَاءَ بِهِ.
- إِنَّهَا تَوْمِيٌّ بِالْهُزْءِ وَالضَّحِكِ، فَمِنْ عَادَةٍ مَنْ يَغْلِبُهُ الضَّحْكُ أُخْيَانًا أَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ إِلَى فِيهِ (69).

### مِنْ دِلَالَاتِ حَرَكَةِ الْأَصَابِعِ

يُظْهِرُ مِنْ حَرَكَةِ الْأَصَابِعِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ أَنَّهَا مَوْمِنَةٌ إِلَى ثَلَاثِ دِلَالَاتٍ:

- أَوَّلُهَا الْخَوْفُ.
  - وَثَانِيهَا الْعَيْظُ.
  - وَثَالِثُهَا التَّصَامُمُ.
- وَهَذِهِ الدِّلَالَاتُ تَجَلَّتْ فِي الْآيَاتِ الشَّرِيفَاتِ التَّالِيَاتِ:
- "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ" (70).
  - "وَإِذِي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا" (71).
  - "وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ، فُلْ مَاتُوا بِغَيْظِكُمْ" (72).

(67) الآية (إبراهيم، 9).

(68) الآية (آل عمران، 119).

(69) انظر هذه المعاني وغيرها: القرطبي، الجامع، 226/9، والطبرسي، مجمع البيان، 49-48/6، وأبو حيان، البحر المحيط، 397/5.

(70) الآية (البقرة، 19).

(71) الآية (نوح، 7).

(72) الآية (آل عمران، 119).

إِخَالَ أَنْ الْحَرَكَةَ الْمُتَجَلِّيَّةَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الْخَوْفِ، وَلَعَلَّ الَّذِي يَسْنُدُ ذَلِكَ هُوَ اسْتِشْرَافُ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ، فَهُوَ آخِذٌ فِي مَقَامِ الْحَدِيثِ عَنِ الْبَرْقِ الَّذِي يَكَادُ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ حَالَهُمْ مَعَ الْبَرْقِ، فَكَيْفَ حَالُهُمْ مَعَ مِثْلِ ذَلِكَ الرَّعْدِ؟<sup>(73)</sup>.

وَقَدْ جَنَحَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ فِي دِلَالَةِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ دِلَالَةِ الْخَوْفِ اللَّفْظِيَّةِ اتِّسَاعًا مَجَازِيًّا، فَالْمُرَادُ "الأنامل" لا الأصابع، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ لِنُكْتَةِ بِلَاغِيَّةٍ فِي ذِكْرِ الْأَصَابِعِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ مَا لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْأَنْمَالِ، فَالْمَجْعُولُ مِنَ الْأَصَابِعِ فِي الْأَذَانِ رُؤُوسُهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ يُبَالِغُونَ فِي إِدْخَالِ أَصَابِعِهِمْ فِي آذَانِهِمْ فَوْقَ الْعَادَةِ الْمُعْتَادَةِ فِي ذَلِكَ فِرَارًا مِنْ شِدَّةِ الصَّوْتِ<sup>(74)</sup>.

وَلَعَلَّ الَّذِي يَنْبَغِي حَتْمُ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ الْجُرِّيَّةِ بِهِ أَمْرَانِ:

- أَوْلُهُمَا دِلَالِيٌّ.

- وَثَانِيَهُمَا جَمَالِيٌّ بَيَانِيٌّ.

أَمَّا الدِّلَالِيُّ فَقَوْلُهُ الشَّرِيفُ: "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ" فِي هَذَا السِّيَاقِ عَلَى وَجْهِ التَّعْبِيرِ يُدُلُّ فِي مُعْجَمِ لُغَةِ الْجَسَدِ عَلَى الْخَوْفِ، بَلْ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْخَوْفِ وَالتَّوَقِّي مِنْهُ. وَأَمَّا الْجَمَالِيُّ الْبَيَانِيُّ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى كَوْنِ قَوْلِهِ -تعالى-: "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ" ذَا أَلْتِ جَمَالِيٍّ مُشْعٍ يَفُوقُ التَّعْبِيرَ الْمُبَاشَرَ "يَخَافُونَ"، فَكَانَ هَذَا الْوَصْفُ الْحَرَكِيُّ وَصْفًا لِحَالِ نَفْسِيَّةٍ تَعْتَرِيهِمْ فِي سِيَاقِهِمْ ذَلِكَ، وَرَسْمًا حَرَكِيًّا صُورِيًّا مَادَّةُ الْأَلْفَاظِ اللَّغَوِيَّةِ الْمُنبِئَةُ عَنِ الْمَعْنَى.

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ الْمُتَقَدِّمَ بَيَانُهَا فَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى ذِكْرِ الْأَصَابِعِ كَمَا الْأُولَى، وَلَكِنَّ الدِّلَالَةَ الْمُنبِئَةَ عَنْهَا مُغَايِرَةٌ، وَلَعَلَّ هَذَا يُفْضِي بِنَا إِلَى رَجِيحِ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَعْرِيفِ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، فَالْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ، وَهِيَ دَالٌّ، قَدْ يَقَعُ تَحْتَهَا مَعْنِيَانِ أَوْ أَكْثَرُ، وَلَا يَتَّعَيْنُ أَحَدُهُمَا فِي الْغَالِبِ إِلَّا بِالْمُضِيِّ مَعَ السِّيَاقِ وَاسْتِشْرَافِ حُدُودِهِ وَصَمَائِمِهِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَكَةُ الْجَسَدِيَّةُ؛ فَهِيَ دَالٌّ يَصْدُقُ عَلَيْهِ تَعْرِيفُ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ الْحَمَالِ لِمَعْنِيَيْنِ أَوْ مَعَانٍ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَنَا خَائِضٌ فِيهِ، فَفِي الْأُولَى كَانَتْ دِلَالَةُ الْحَرَكَةِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ، وَفِي هَذِهِ الثَّانِيَةِ كَانَتْ دِلَالَةُ الْحَرَكَةِ نَفْسِيَّةِ التَّصَامُمِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْإِنْكَارِ لِئَلَّا يَسْمَعُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَزَادُوا عَلَى ذَلِكَ، مُمَاحَكَةً وَمُعَايَاةً وَإِنْكَارًا، حَرَكَةً أُخْرَى تَحْمِلُ كُلَّ تِلْكَ الدِّلَالَاتِ، وَهِيَ اسْتِغْشَاءُ الثِّيَابِ، وَتَعْطِيَةُ الْوُجُوهِ لِئَلَّا يَرَوْهُ، فَهُمْ يَرْفُضُونَ السَّمَاعَ وَالرُّؤْيَا: سَمَاعَ الدَّعْوَةِ، وَرُؤْيَا الدَّاعِي، "فَاسْتِغْشَاءَ الثِّيَابِ إِذَا زِيَادَةً فِي سَدِّ الْأَذَانِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا،

(73) انظر: الزمخشري، الكشاف، 216/1.

(74) انظر: الزمخشري، الكشاف، 217/1.

أَوْ لِتَكْتِيرِهِمْ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَسْكُتَ، أَوْ لِيُعْرِفُوهُ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ، وَقِيلَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْعَدَاوَةِ<sup>(75)</sup>، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ بُغْضًا، وَإِنْكَارًا، وَتَوَلَّى عَنِ سَمَاعِ النَّصْحِ، أَوْ رُؤْيَا النَّاصِحِ الْأَمِينِ<sup>(76)</sup>.

أَمَّا الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ الثَّلَاثَةُ فَهِيَ الَّتِي تُنْبِئُ عَنِ حَالِ أَفْرَادِ الْبِطَانَةِ الَّذِينَ لَا يَأْلُونَ الْمُسْلِمِينَ خَبَالًا، وَاللَّطِيفُ الْمُعْجِبُ فِي هَذَا الْخِطَابِ الْقُرْآنِيِّ الرَّائِقِ الرَّاقِي أَنَّهُ قَامَ فِي هَذَا السِّبَاقِ عَلَى الْمُقَابَلَةِ التَّصْوِيرِيَّةِ، فَنَمَّ فِتْنَةً مُؤْمِنَةً، وَتَقَابَلَهُمْ بِطَانَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ الْمُنَافِقِينَ كَافِرَةً، وَتَمَّ حُبُّ يَتَّعُ مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ يُقَابِلُهُ كُرْهًا يَتَّعُ مِنَ الْبِطَانَةِ، وَتَمَّ إِيمَانٌ يُقَابِلُهُ كُفْرًا، وَتَمَّ اصْطِنَاعُ التَّوَادِّ فِي الظَّاهِرِ، وَإِضْمَارُ الْغَيْظِ وَالْعَدَاوَةِ فِي الْبَاطِنِ، وَهُمْ يَقُولُونَ آمَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ، وَكَفَرُوا آخِرَهُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا حَرَكَةٌ جَسَدِيَّةٌ أُخْرَى مِضْمَارُهَا الْأَنَامِلُ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى التَّغَيْظِ، وَالتَّحْرِقِ، وَالحَقِّقِ، قَائِمَةٌ عَلَى تَصْوِيرِ الْمُقَابَلَةِ فِي الْمَشَاعِرِ بَيْنَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ: ظَاهِرِ التَّفَاقُقِ وَاصْطِنَاعِ الْمَوَدَّةِ مُضْدَاقًا لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: "وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا"<sup>(77)</sup>، وَبَاطِنِ الْكُفْرِ، وَالغَيْظِ، وَالْإِنْكَارِ الْمَتَمَثِّلِ فِي الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ الْمَرْسُومَةِ بِالْكَلِمَاتِ، وَالْمُقَابَلَةِ لِلصُّورَةِ الْأُخْرَى، وَالْجَزَاءِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَانَ جَوَابُ إِثْبَانِهِمْ عَضَّ الْأَنَامِلِ مِنَ الْغَيْظِ قَوْلَهُ الْحَقُّ: "قُلْ مَاتُوا بِغَيْظِكُمْ"<sup>(78)</sup>.

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْحَرَكَةُ فِي سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ فِعْلًا حَقِيقِيًّا أَتَى بِهِ هُوَ لِأَنَّهَا، وَقَدْ تَكُونُ كِنَايَةً، وَالْأَمْرَانِ مُحْتَمَلَانِ، وَقَدْ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانٍ إِلَى أَنَّ ظَاهِرَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِعْلٌ ذَلِكَ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ عَضُّ الْأَنَامِلِ لِشِدَّةِ الْغَيْظِ مَعَ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى إِنْفَازِ مَا يُرِيدُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ: وَقَدْ صَالَحُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَشِحَّةً يَعْضُونَ عَضًّا خَلَفْنَا بِالْأَبَاهِمِ<sup>(79)</sup>.

(75) انظر: القرطبي، الجامع، 194/18، وانظر ما قاله الزمخشري، الكشاف، 162/4، والطبرسي، مجمع

البيان، 104/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 332/8.

(76) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 332/8.

(77) الآية (آل عمران، 119).

(78) الآية (آل عمران، 119).

(79) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 44/2، وانظر كذلك: الزمخشري، الكشاف، 459/1، والطبرسي،

مجمع البيان، 288/2، والقرطبي، الجامع، 117/4.

وَبَعْدُ، فَأَخْتَمُ مَبَاحَثَةَ حَرَكَةِ الْأَصَابِعِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ الْمُسْتَطَرَفِ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ أَنَّ عَاشِقَيْنِ قَدْ تَخَاطَبَا مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ بِالْفِيءِ عَلَى الْعَيْنِ، ثُمَّ لَمَّا أَشْفَقَا مِنْ عِيُونِ الْعُدَالِ جَعَلَا مِنَ الْأَنَامِلِ سُلْمًا لِلدَّلَالَةِ وَالتَّوَاصُلِ:

يَا لِلرِّجَالِ لِعَاشِقَيْنِ تَوَافِقًا      وَتَخَاطَبًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا  
حَتَّى إِذَا خَافَا الْعِيُونَ وَأَشْفَقَا      جَعَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سُلْمًا<sup>(80)</sup>

### مِنْ دِلَالَاتِ الْوَجْهِ وَإِيحَاءَاتِهِ:

يُقَسِّمُ أَهْلُ هَذَا الدَّرْسِ الْحَرَكَاتِ الْجَسَدِيَّةَ قِسْمَيْنِ:

- فِطْرِيَّةٌ بَاعْتُهَا فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، وَلَعَلَّ أَجْلَى مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ الْأَطْفَالُ وَالصَّمِّ وَالْبُكْمُ وَالْعُمِّيُّ الَّذِينَ تَصَدَّرُ عَنْهُمْ إِيمَاءَاتٌ وَإِشَارَاتٌ جَسَدِيَّةٌ دُونَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهَا فَحَاكَوْهَا، كَالِابْتِسَامَةِ فِي مَعْنَى الْفَرَحِ، وَالْكَشْرَةِ فِي مَعْنَى الْخُزْنِ، وَتَقْطِيبِ الْوَجْهِ فِي مَعْنَى الْعَضْبِ، وَهَزَّةِ الرَّأْسِ فِي مَعْنَى الْقَبُولِ.
- وَمُكْتَسِبَةٌ تَتَخَلَّقُ عِنْدَ الْمَرءِ بِالِاكْتِسَابِ وَالتَّعَلُّمِ<sup>(81)</sup>، وَهَذِهِ الْحَرَكَاتُ الْمُكْتَسِبَةُ تُقَسِّمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنْ تَكُونَ حَرَكَاتٍ مُكْتَسِبَةً بِالمُحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيدِ، وَثَانِيَهُمَا أَنْ تَكُونَ مُكْتَسِبَةً بِالْأُثْرَةِ وَالْمِرَاسِ، كَالْتَحَايَا الْعَسْكَرِيَّةِ، وَالْعَمَزِ بِطَرْفِ الْعَيْنِ، وَإِشَارَاتِ الصَّمِّ وَالْبُكْمِ الْمُتَعَلِّمَةِ<sup>(82)</sup>.

وَالَّذِي يَخْصُ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةَ فِي هَذَا الْمَقَامِ الضَّرْبُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَرَكَاتِ؛ أَعْنِي الْحَرَكَاتِ الْفِطْرِيَّةَ، فَقَدْ تَرَدَّدَتْ بَيْنَ سِتَّةِ مَعَانٍ سُمِّيَتْ بِالِانْفِعَالَاتِ السَّتَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَهِيَ مِمَّا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْوَجْهِ وَتَعْبِيرَاتِهِ وَإِيمَاءَاتِهِ الْمُنْبِئَةِ عَنْ مَعَانٍ، وَالْحَمَّالَةَ لِذِلَالَاتٍ تُقْتَبَسُ مِنْ هَذَا الْمَجْرَى الصَّامِتِ لَا الصَّائِتِ، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَالَمِيَّةِ الْبَهْجَةُ، وَثَانِيهَا الْخُزْنُ، وَثَالِثُهَا الْإِشْمِرَازُ، وَرَابِعُهَا الْخَوْفُ، وَخَامِسُهَا الْعَضْبُ، وَسَادِسُهَا الدَّهْشَةُ.

وَالْحَقُّ أَنَّ بِمُكْنَةِ الْمَرءِ -بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ لَوْنِهِ وَجِنْسِهِ وَمَشْرِيبِهِ وَلِسَانِهِ- أَنْ يَقْتَنَصَ هَذِهِ الْمَعَانِي بِالْفِيءِ إِلَى الْإِيمَاءَاتِ وَالْحَرَكَاتِ الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي سِيَاقِهَا، وَقَدْ نَهَدَ عَالِمُ نَفْسِ أَمْرِيكِيِّ إِلَى الْخَوْضِ فِي تَأْصِيلِ هَذِهِ الْانْفِعَالَاتِ السَّتَّةِ طَلَبًا لِلتَّحْقِيقِ مِنْ عُمُومِيَّتِهَا وَتَعَارُفِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهَا، فَوَزَّعَ صُورًا كَانَتْ قَدْ التَّقَطُّهَا مُعْبِرَةً عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي الْمُتَقَدِّمِ بَيَانُهَا عَلَى

(80) انظر: الحصري، زهر الآداب، 1018/2.

(81) Pease, Body Language, P.8.

(82) انظر: باكو، لغة الحركات، 19.

جَمَاعَاتٍ مِنْ أَجْنَاسٍ، وَبُلْدَانٍ، وَأَعْمَارٍ مُتَبَايِنَةٍ، وَكَانَتْ صَفْوَةُ الْقَوْلِ الَّتِي أَفْضَتْ إِلَيْهَا نَتَائِجُ مُبَاحِثَاتِهِ دَالَّةً عَلَى أَنَّ الْعَيِّنَةَ تَتَوَاضَعُ عَلَى مَعَانِيهَا تَوَاضَعًا فِطْرِيًّا، فَتَمَّ:

- 93% مِنْهُمْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَعْنَى الْبَهْجَةِ.
- و88% أَجْمَعُوا عَلَى مَعْنَى الدَّهْشَةِ.
- و83% أَجْمَعُوا عَلَى مَعْنَى الاِشْمِزَازِ.
- و81% أَجْمَعُوا عَلَى مَعْنَى الحُزَنِ.
- و76% أَجْمَعُوا عَلَى الحَوْفِ.
- و73% أَجْمَعُوا عَلَى مَعْنَى الغَضَبِ<sup>(83)</sup>.

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ المَعَانِي فِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَكَانَ الوَجْهُ بِجُمْلَتِهِ البَاعِثَ الأوَّلَ، وَالدَّالَّ المُعَبِّرَ المُخَصِّصَ لِتِلْكَ المَعَانِي المُتَبَايِنَةِ بِتَبَايُنِ السِّيَاقَاتِ، فَظَهَرَتْ:

- دِلَالَةُ الْبَهْجَةِ وَالحُبُورِ فِي قَوْلِ الحَقِّ: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ"<sup>(84)</sup>.
- وَدِلَالَةُ الحَوْفِ فِي قَوْلِ الحَقِّ: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ"<sup>(85)</sup>، وَكَذَلِكَ: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهُقُهَا قَرَّتَرَةٌ"<sup>(86)</sup>.
- وَدِلَالَةُ الغَضَبِ فِي قَوْلِ الحَقِّ: "ثُمَّ نَظَرُوا، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ"<sup>(87)</sup>، وَكَذَلِكَ: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ"<sup>(88)</sup>.
- وَدِلَالَةُ الاِشْمِزَازِ المُقْرُونَةُ بِالغَضَبِ فِي قَوْلِ الحَقِّ: "وَإِذَا تُلْتَمَسُ آيَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ"<sup>(89)</sup>.
- وَدِلَالَةُ التَّعَجُّبِ فِي قَوْلِ الحَقِّ: "فَاقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ، فَصَكَتْ وَجْهَهَا، وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ"<sup>(90)</sup>.

<sup>(83)</sup> انظر: باكو، لغة الحركات، 62، وقد أشار Pease إلى ثلاثة علماء درسوا تعابير الوجه لأناس من خمس ثقافات متباينة، وقد كانت نتائج دراساتهم تدل على أن الثقافات الخمس التي أقيمت عليها الدراسة تلتقي على الإيماءات الوجهية نفسها، وهذا أفضى إلى التقرير بأن تلكم الإيماءات مما ينتسب إلى الفطرة التي أودعها الله فينا. انظر: Pease, Body Language, P. 8

<sup>(84)</sup> الآية (عبس، 38-39).

<sup>(85)</sup> الآية (القيامة، 24-25).

<sup>(86)</sup> الآية (عبس، 40-41).

<sup>(87)</sup> الآية (المدثر، 22).

<sup>(88)</sup> الآية (النحل، 58).

<sup>(89)</sup> الآية (الحج، 72).

<sup>(90)</sup> الآية (الذاريات، 29).

وَمِمَّا يُنْضَافُ إِلَى تِلْكَ الدَّلَالَاتِ:

- دِلَالَةُ الرَّاحَةِ وَالتَّنَعُّمِ: "تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ"<sup>(91)</sup>، وَكَذَلِكَ: "وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ"<sup>(92)</sup>.
- دِلَالَةُ الْعِبَادَةِ وَحُسْنِ السَّمْتِ: "سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ"<sup>(93)</sup>.
- دِلَالَةُ الْإِنْفِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ: "وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ"<sup>(94)</sup>.
- دِلَالَةُ الضَّلَالِ وَالتَّخْبِطِ: "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"<sup>(95)</sup>.

وَالَّذِي يَظْهَرُ بِجَلَاءٍ فِي جُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهَا تَقُومُ عَلَى رَسْمِ مَشَاهِدٍ مُتَقَابِلَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ كَانَ عِمَادُ هَذَا الرَّسْمِ تَصْوِيرَ الْهَيْئَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الْمُؤَبَّنَةِ عَنِ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ فِي مَقَامِ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ، وَفِي مَقَامِ الْفَوْزِ أَوْ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ بِالْوَصْفِ الْجَسَدِيِّ عَامَّةً، وَالْوَجْهِيِّ خَاصَّةً، لِمَا لِلْوَجْهِ مِنْ بَيَانٍ، وَتَبْيِينٍ، وَإِبَانَةٍ تَتَقَدَّمُ اللَّفْظُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ:

- فَتَمَّ وُجُوهُ تَبْيِضُ.
- وَأُخْرَى تَقِفُ وَجَاهَهَا مُسْوَدَّةً.
- وَتَمَّ وُجُوهُ مُسْفِرَةٌ، مُضِيئَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ كَالصَّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ.
- وَتَمَّ وُجُوهُ يَعْطَرُهَا السَّوَادُ وَالْعِبَارُ اسْتِحْشَاشًا وَخَوْفًا مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ.
- وَتَمَّ وُجُوهُ نَاضِرَةٌ مِنْ نُضْرَةِ النَّعِيمِ قَدْ وَجَدَتْ مَا وَعَدَ رَبُّهَا حَقًّا.
- وَتَمَّ وُجُوهُ أُخْرَى بِاسِرَّةٍ خَائِفَةٌ شَدِيدَةُ الْعُبُوسِ تَتَرَقَّبُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا دَاهِيَةٌ تَقْصُمُ فِقَارَ الظُّهْرِ<sup>(96)</sup>، وَهَكَذَا تَمْضِي هَذِهِ الْمُقَابَلَاتُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْفُسْطَاطَيْنِ فِي مَشْهَدٍ غَيْبِيِّ صَوْرَهُ الْحَقُّ تَصْوِيرًا يَسْتَشْرِفُ فِيهِ الْمَرْءُ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ، أَمَّا الظَّاهِرُ فَهُوَ وَصْفُ الْأَحْوَالِ الْجَسَدِيَّةِ، وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَهُوَ وَصْفُ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ، فَغَدَا مَشْهَدًا حَيًّا وَإِعَا لِمَنْ تَدَبَّرَ أَوْ تَبَصَّرَ.

(91) الآية (المطففين، 24).

(92) الآية (الغاشية، 8).

(93) الآية (الفتح، 29).

(94) الآية (طه، 111).

(95) الآية (الملك، 22).

(96) انظر ما قاله: الزمخشري، الكشاف، 192/4، والقرطبي، الجامع، 147/19.

أما دلالة العصب في سياق الآية الشريفة فقد التفت إليها ثلثة من المُفسرين كالزَمخسري، والقرطبي، وأبي حيان، فأشاروا إلى أنه قَطَبٌ وَكَلَحَ لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الحِيلُ، وَقِيلَ قَطَبٌ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ زَحَفَ مُدْبِرًا، وَتَشَاوَسَ مُسْتَكْبِرًا<sup>(97)</sup>، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى أَنَّهُ قَطَبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْعَبْسُ مَصْدَرٌ "عَبَسَ"، وَمَعْنَاهُ التَّقَطُّيبُ، وَ"بَسَرَ" مَعْنَاهُ أَنْ وَجْهَهُ تَغَيَّرَ وَاسْوَدَّ<sup>(98)</sup>، وَقِيلَ إِنَّ الْبَاسِرَ هُوَ الشَّدِيدُ الْعُبُوسِ<sup>(99)</sup>.

أما دلالة الأشمئزاز، وألغها تكون مُرَكَّبَةً مَقْرُونَةً بِالْعَصَبِ وَالتَّجَهُمِ، فَقَدْ ظَهَرَتْ جَلِيَّةً فِي وَصْفِ الْحَقِّ "تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ"، وَقَدْ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانَ إِلَى أَنَّ الْمُنْكَرَ فِي سِيَاقِهِ ذَاكَ الْمَسَاءَةُ، وَالتَّجَهُمُ، وَالبُسُورُ، وَالبَطْشُ الدَّالُّ عَلَى سُوءِ الْمُعْتَقِدِ، وَخُبْتُ السَّرِيرَةَ؛ "لأنَّ الوجوه يظهرُ فِيهِ التَّرْخُ وَالْفَرْحُ اللَّذَانِ مَحَلُّهُمَا الْقَلْبُ"<sup>(100)</sup>.

أما دلالة التَّعَجُّبِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِحَرَكَةِ جَسَدِيَّةٍ شَائِعَةٍ فَكَانَتْ صَكَّ الْوَجْهِ، وَقَدْ وَقَفَ ابْنُ جَنِّي عِنْدَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي مَقَامٍ آخَرَ، مُلْتَمِسًا فَضْلَهَا فِي الْكَشْفِ عَنِ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَعْتَرِي مَنْ يَأْتِيهَا، وَإِيحَاءِهَا الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي ظِلَالِ التَّعَجُّبِ وَالبَهْتِ، فَوَرَدَ عَلَى حَادِثَةِ "صَكَّ الْوَجْهِ" الَّتِي هِيَ حِكَايَةُ شِكَايَةِ امْرَأَةٍ عَلَى لِسَانِ شَاعِرٍ:

تَقُولُ - وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا - أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسُ!؟

وَقَدْ عَلَّقَ عَلَيْهَا مُسْتَشْفًا فَضَّلَ رِوَايَةَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي تَعْزِيزِ الْمَعْنَى، فَقَدْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ الْجَسَدِيَّةُ كَالْمُنْبَهَةِ عَلَى فَرْطِ التَّعَجُّبِ وَالإِنْكَارِ وَالتَّعَاطُمِ، وَلَنَا أَنْ نَتَّصِرَ أَنْ نَمَّ مُخْبِرًا، وَأَنَّ نَمَّ مُعَايِنًا لِهَذَا الْحَدِيثِ الْكَلَامِيِّ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يُفْنَعُ اللَّغْوِيَّ، أَوْ ابْنَ جَنِّي مِنْ قَبْلُ، أَنَّ دِلَالَةَ الْحَدِيثِ الْقَارَةَ فِي نَفْسِ الْمُعَايِنِ هِيَ كَالَّتِي عِنْدَ الْمُخْبِرِ؟ إِذْ إِنَّ الْمُعَايِنَ قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ سَمِعَ الصَّائِتَ وَعَايَنَ الصَّامِتَ، أَمَّا الْمُخْبِرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ إِلَّا بِالْوَصْفِ وَالتَّمْثِيلِ مِنَ الصَّامِتِ، "فَلَوْ قَالَ حَاكِيًا عَنْهَا: أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسُ - مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكَرَ صَكَّ الْوَجْهِ - لِأَعْلَمْنَا أَنَّهَا كَانَتْ مُتَعَجِّبَةً مُنْكَرَةً، لَكِنَّهُ لَمَّا حَكَى الْحَالَ، فَقَالَ: "وَصَكَّتْ وَجْهَهَا" عَلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةَ إِنْكَارِهَا، وَتَعَاطُمِ الصُّورَةِ لَهَا، هَذَا مَعَ أَنَّكَ سَامِعٌ لِحِكَايَةِ الْحَالَ، غَيْرُ مُشَاهِدٍ لَهَا، وَلَوْ شَاهَدْتَهَا لَكُنْتَ بِهَا أَعْرَفَ، وَلِعِظَمِ الْحَالَ فِي نَفْسِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَبِينِ،...، وَلَوْ لَمْ يَنْقُلْ إِلَيْنَا هَذَا الشَّاعِرُ حَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِقَوْلِهِ:

<sup>(97)</sup> انظر ما قيل عن هذه الآية: الزمخسري، الكشاف، 183/4، والقرطبي، الجامع، 50/19، وأبو حيان،

البحر المحيط، 366/8.

<sup>(98)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 50/19.

<sup>(99)</sup> انظر: الزمخسري، الكشاف، 192/4.

<sup>(100)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 358/6.

"وَصَكَّتْ وَجْهَهَا"، لَمْ نَعْرِفْ بِهِ حَقِيقَةَ تَعَاظِمِ الْأَمْرِ لَهَا"<sup>(101)</sup>، وَمِنْ هُنَا قَالَتِ الْعَرَبُ قَبْلًا، وَقَالَهَا ابْنُ جَنِّي بَعْدًا: "لَيْسَ الْمُخْبِرُ كَالْمُعَايِنِ"؛ ذَلِكَ أَنَّ تَمَّ أَحْوَالَ شَاهِدَةٍ بِالْقُصُودِ، حَالِفَةً عَلَى مَا فِي النَّفُوسِ"<sup>(102)</sup>.

وَمِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْضَافَ إِلَى دِلَالَاتِ الْوَجْهِ وَإِيحَاءَاتِهِ حَرَكَتَانِ وَرَدَتَا فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، وَهُمَا تَصْعِيرُ الْخَدِّ، وَثَنِي الْعِطْفِ، وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا تَنْتَسِبَانِ مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ إِلَى مَبْحَثِ "الْوَجْهِ"، وَقَدْ تَثَبَّتَانِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُسْتَقَلٍّ، وَقَدْ ارْتَضِيَتْ إِثْبَاتُهُمَا هُنَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ لُحْمَةٍ وَوَسَائِحِ بَيْنِ هَاتَيْنِ الْحَرَكَتَيْنِ وَالْوَجْهِ، بَلْ إِنَّ الْوَجْهَ يَتَّسِعُ لِأَدْرَاجِهِمَا فِيهِ، وَهُمَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

### تَصْعِيرُ الْخَدِّ:

يَظْهَرُ مَعْنَى الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، فَقَدْ يَتَّسِعُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَفْظٌ يَصْدُرُ مِنْ مُتَلَفِّظٍ مَا، وَقَدْ تَدُلُّ عَلَيْهِ هَيْئَةٌ جَسَدِيَّةٌ تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، فَتَعْدُو نَاطِقَةً كَمَا اللَّفْظُ، فَيُقَالُ إِنَّهُ مُتَكَبِّرٌ مَرَهُؤٌ بِنَفْسِهِ، وَهَيْئَةُ "تَصْعِيرِ الْخَدِّ" وَاحِدَةٌ مِنَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مَأْخُودٌ مِنَ الصَّعْرِ الَّذِي هُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الْبَعِيرَ فَيَلْوِي مِنْهُ عُنُقُهُ"<sup>(103)</sup>، وَقَدْ وَقَفَ الْمُفَسِّرُونَ عِنْدَ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الْآتِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ"<sup>(104)</sup>:

- فَالزَّمْخَشَرِيُّ يَرَى أَنَّ الْمُتَعَبِّرِينَ هُوَ: أَقْبَلُ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِكَ تَوَاضِعًا، وَلَا تُؤَلِّهِمْ شَقَّ وَجْهِكَ وَصَفَحَتَهُ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَكَبِّرُونَ"<sup>(105)</sup>.
- وَالْقُرْطُبِيُّ يَقُولُ: لَا تُؤَلِّ خَدَّكَ لِلنَّاسِ كِبْرًا عَلَيْهِمْ، وَإِعْجَابًا، وَاحْتِقَارًا لَهُمْ. وَقِيلَ هُوَ أَنْ تَلْوِيَّ شِدْقَكَ إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ عِنْدَكَ كَأَنَّكَ تَحْقَرُهُ، فَأَقْبَلِ عَلَيْهِمْ مُتَوَاضِعًا مُسْتَأْنَسًا"<sup>(106)</sup>.
- وَالشَّرِيفُ الرَّضِيُّ يَقُولُ: "فَكَأَنَّهُ أَمْرَةٌ أَلَّا يَشْمَخَ بِأَنْفِهِ، وَيُعْرِضَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْكِبَرِ تَشْبِيهًا بِالْبَعِيرِ إِذَا أَصَابَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ، وَمِنْ صِفَاتِ الْكِبَرِ رَفْعُ الطَّرْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَعْقُودٌ بِالسَّمَاءِ"<sup>(107)</sup>.

<sup>(101)</sup> انظر: ابن جني، الخصائص، 247/1.

<sup>(102)</sup> انظر: ابن جني، الخصائص، 246/2.

<sup>(103)</sup> انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 67/8، والزمخشري، الكشاف، 234/3، والقرطبي، الجامع، 47/14،

وابن منظور، اللسان، مادة "صعر".

<sup>(104)</sup> الآية (لقمان، 18).

<sup>(105)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 234/3.

<sup>(106)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 74/14.

- وَأَبُو حَيَّانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَعْنَى: لَا تُؤَلِّمُهُمْ بِشِقِّ وَجْهِكَ كَمَا فَعَلَ الْمُتَكَبِّرُ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِكَ مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ وَلَا إِعْجَابٍ<sup>(108)</sup>.

### ثَنِّي الْعِطْفِ:

وَهَذِهِ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَعْنَى الْكِبَرِ وَالْإِعْرَاضِ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(109)</sup>.

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ بِثَانِي "عَلَى أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِ"يُجَادِلُ"، وَالْمَعْنَى الْكُلِّيُّ عِنْدَهُمْ قَائِمٌ عَلَى اسْتِشْرَافِ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمُنْعَيْنَ هُوَ: يُجَادِلُ مُتَكَبِّرًا لَاوِيًّا عُنُقَهُ يُفْبِحُ، شَامِحًا بِأَنْفِهِ<sup>(110)</sup>.

وَقَدْ جَمَعَ الرَّمَحْشَرِيُّ بَيْنَ "تَضَعِيرِ الْخَدِّ" وَ"ثَنِّي الْعِطْفِ" تَحْتَ بَابِ دِلَالِيٍّ وَاحِدٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ "ثَنِّي الْعِطْفِ" عِبَارَةٌ عَنِ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ، كَتَضَعِيرِ الْخَدِّ، وَلِيَّ الْجِيدِ"<sup>(111)</sup>، وَقَدْ تَأَوَّلَهَا الْقُرْطُبِيُّ عَلَى مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِيَّ الْعُنُقِ مَرَحًا وَتَعَظُّمًا، وَثَانِيَهُمَا لِيَّهُ إِعْرَاضًا، وَالْعِطْفُ مَا انْتَشَى مِنَ الْعُنُقِ، فَكَأَنَّ آتِيَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ "مُعْرِضٌ عَنِ الْحَقِّ فِي جِدَالِهِ، وَمُؤَلِّ عَنِ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ"<sup>(112)</sup>.

### مِنْ دِلَالَاتِ الْمِشْيَةِ وَإِبْحَاءِهَا:

لِلْمِشْيَةِ هَيْئَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانٍ مَخْصُوصَةٍ، وَقَدْ نَقَتِ الْمُصَنِّفُونَ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ، أَعْنِي لُغَةَ الْجَسَدِ، إِلَى بَعْضِ تَلْكَ الْهَيْئَاتِ وَدِلَالَاتِهَا، وَشَرَعُوا يَلْتَمِسُونَ الْبَوَاعِثَ الَّتِي تُقْضِي إِلَى تَغْيِيرِ هَيْئَاتِ تِلْكَ الْمِشْيَةِ، وَيَسْتَرْفِدُونَ مِنَ الْوَسَائِلِ التَّوْضِيحِيَّةِ كَالرَّسُومِ وَالصُّوَرِ الْمَعُونَةِ فِي النَّقْصِيمِ وَالشَّرْحِ وَالتَّجْلِيَّةِ، فَلكلِّ وَاحِدٍ مِمَّا "مِشْيَتُهُ الْخَاصَّةُ بِهِ، وَإِبْقَاعُهُ، وَتَرْجِيحُ ذِرَاعَيْهِ، وَتَوْجِيهُ قَدَمَيْهِ، إِنَّ مِشْيَتَنَا تَوَلَّفُ جُزْءًا مِنْ هُوَيْتِنَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَخْتَلَفُ مِنْ يَوْمٍ إِلَى آخَرَ تَبَعًا لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي

<sup>(107)</sup> انظر: الشريف الرضي، تلخيص المجازات، 213.

<sup>(108)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 183/7.

<sup>(109)</sup> الآية (الحج، 19).

<sup>(110)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 329/6.

<sup>(111)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 6/3.

<sup>(112)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 12/12، وقد أشار الشريف إلى هذين المعنيين أيضا. انظر: تلخيص

البيان، 170.

نجدُ أنفسنا فيها،...، وَلَكِنَّ مَزَاجَنَا لَيْسَ الْعَنْصَرَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعَدَلَ مِشْيَتَنَا، حَتَّى إِنَّ لِلْأَرْصَادِ الْجَوِيَّةِ تَأْثِيرًا فِيهَا"<sup>(113)</sup>.

وَقَدْ وَقَفَ بَاحِثٌ عِنْدَ بَعْضِ تَلْكَمِ الْهَيْئَاتِ مُقَسِّمًا، وَمَفْسِّرًا، وَمَصَوِّرًا، وَمُعَيِّنًا الْمَعْنَى الَّذِي يَنْطَوِي تَحْتَ كُلِّ هَيْئَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- الْمِشْيَةُ الرَّشِيقَةُ: وَيَكُونُ الذَّقْنُ فِيهَا مَرْفُوعًا، وَالْخُطَاوَاتُ وَاسِعَةً، وَالْخَطُّ مَوْعًا، وَالْأَنْفُ شَامَخًا.

- وَالْمِشْيَةُ الْمَهَادَةُ "الْبُولدُوزر": وَيَكُونُ الْكَعْبُ فِيهَا مَغْرُورًا فِي الْأَرْضِ، وَالْخَطْوَةُ سَرِيعَةً ثَابِتَةً، وَالنَّظْرُ مُسْتَقِيمًا مُوجَّهًا إِلَى الْأَمَامِ، مَصْرُوفًا تِلْقَاءَ هَدَفٍ مُرَادٍ لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

- وَالْمِشْيَةُ الْمُخْلَعَةُ، وَفِيهَا يَبْدُو آتِيهَا كَأَنَّهُ "مُرْكَبٌ عَلَى نَوَابِضِ كُلِّ مَا فِيهَا يَتَحَرَّكُ"<sup>(114)</sup>.

- وَالْمِشْيَةُ الْبَلِيدَةُ، وَتَظْهَرُ الْخَطْوَةُ فِيهَا مُرْتَكِسَةً، "وَالسَّاقُ مَجْرُورَةٌ مُرْتَخِيَةً، وَالْقَدَمَانِ مُتَعَلِّقَتَيْنِ.

- وَالْمِشْيَةُ الشَّبْحُ الَّتِي يَظْهَرُ فِيهَا طَرَفَا الْقَدَمَيْنِ مُلَامَسَيْنِ لِلْأَرْضِ، مُنْزَلَقَيْنِ خَفِيَةً دُونَ أَنْ يُحْدِثَا جَلْبَةً أَوْ أَثْرًا إِلَّا كَمَا يُحْدِثُهُ التِّيَّارُ الْهَوَائِيُّ، وَهَنَّاكَ مِشْيَةُ "شارلو"، وَلَعَلَّ الْمَقَامَ لَا يَتَّسِعُ لِلْخَوْضِ فِي كُلِّ ذَلِكَ"<sup>(115)</sup>.

وَقَدْ أوردت ذلك في هذا السياق لأمرين: أولها تلمس بعض ذلك في التنزيل العزيز، وثانيهما الإلماحة إلى أن بعض معالم هذا الدرس مَبْنُوثٌ في كتب الأوائِلِ عامَّةً، ومُعْجَمَاتِ الْمَعَانِي خَاصَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الثَّعَالِبِيِّ فِي "فقه اللِّغَةِ" عَنْ فَصْلِ فِي تَفْصِيلِ ضُرُوبِ مَشْيِ الْإِنْسَانِ<sup>(116)</sup>، وَمِنْ ذَلِكَ التَّفَاتُّهُ الْمُعْجِبَةُ إِلَى أَثْرِ السَّنِّ فِي هَيْئَةِ الْمِشْيَةِ وَدِلَالَتِهَا، وَأَثْرُ الْحَالِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْحَالِ الصَّحِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِنَرْجِعَ النَّظْرَ فِي عُجَالَةٍ إِلَى ضُرُوبِ الْمَشْيِ الْمُثْبِتَةِ نَمَّ:

- الدَّرْجَانُ: مِشْيَةُ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ.

- وَالْحَبْوُ مِشْيَةُ الرِّضِيعِ عَلَى اسْتِهِ.

- وَالْحَجَلَانُ أَنْ يَرْفَعَ الْغُلَامُ رِجْلًا وَيَمْشِي عَلَى أُخْرَى.

- وَالْخَطْرَانُ مِشْيَةُ الشَّابِّ بَاهْتِرَازٍ وَنَشَاطٍ.

- وَالذَّلِيفُ مِشْيَةُ الشَّيْخِ رَوِيدًا، وَمَقَارِبُهُ الْخَطْوُ.

<sup>(113)</sup> انظر: باكو، لغة الحركات، 54.

<sup>(114)</sup> انظر: باكو، لغة الحركات، 55.

<sup>(115)</sup> لمزيد بسط القول انظر: باكو، لغة الحركات، 55-56.

<sup>(116)</sup> انظر: الثعالبي، فقه اللغة، 198-199.

- والرَّسْفَانُ مشيةُ المقيدِ.
- والاختيالُ والتَّبَخُّرُ والتَّهْبِيسُ مشيةُ الرَّجْلِ المتكبرِ والمرأةِ المُعجبةِ بجمالِها وكمالِها.
- والرَّفْلُ مشيةُ مَنْ يجرُّ ذبوله، ويركضُها برجله.
- والتَّدْعَلُبُ مشيةُ في استخفاءٍ.
- التَّرْهُوكُ: مشيةُ الذي يمشي كأنه يَمُوجُ في مشيه.
- والحَدَنَقَةُ والنَّعْنَلَةُ: أَنْ يَمْشِيَ مُفَاجَأً، وَيَقْلِبُ رِجْلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَغْرِفُ بِهِمَا، وَهِيَ مِنَ التَّبَخُّرِ<sup>(117)</sup>. ثُمَّ يَعْقُدُ فَصْلًا خَاصًّا فِي مَشْيِ النِّسَاءِ وَهَيْئَاتِهِ وَدِلَالَاتِهِ، كَالْتِهَالِكِ، وَالتَّأَوْدِ، وَالبَدْحِ، وَالتَّبَدُّحِ، وَالكَتْفِ، وَالتَّهْرَعِ، وَالقَرَصَعَةِ<sup>(118)</sup>.

أما في التنزيل العزيز فقد وردت المشية في غير موضع شريف في غير هيئته، وقد أعقب تباين تلكم الهيئات تبايناً في الدلالات والإيحاءات:

- فهناك مشية حاملة لدلالة الوقار.
- وأخرى حاملة لدلالة الكبر والتبخُّر.
- وثالثة دالة على الحياء.
- ورابعة على الجدِّ والعناية.
- وخامسة باعثة على إثارة الشهوة.
- وسادسة على الطمأنينة والأناة.

لننظر في الآيات الكريمة:

- "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا"<sup>(119)</sup>.
- "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا"<sup>(120)</sup>.
- "ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى"<sup>(121)</sup>.
- "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ"<sup>(122)</sup>.
- "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى"<sup>(123)</sup>.

<sup>(117)</sup> انظر ذلك كله: الثعالبي، فقه اللغة، 198-199.

<sup>(118)</sup> انظر: الثعالبي، فقه اللغة، 199.

<sup>(119)</sup> الآية (الإسراء، 37).

<sup>(120)</sup> الآية (الفرقان، 63).

<sup>(121)</sup> الآية (القيامة، 33).

<sup>(122)</sup> الآية (القصص، 25).

- "واقصد في مشيك" (124).
- "ولا يضرين بأرجلهنَّ ليعلم ما يخفين من زينتهنَّ" (125).

أما في الآية الأولى ففيها نهي صراح عن مشية ذات هيئة تنير في النفس اختيالاً؛ ذلك أنها توميء إلى الكبر، والتطاؤل، والشدة، والمقصود من هذا النهي الرّباني أمران:

- أولهما تهكم بالمختال الظان بنفسه ظنّ السوء.
- وثانيهما التّقرير بأنّه لن يجعل فيها خرقاً بدوسه لها، وشدة وطأته، ولن يبلغ الجبال بتطاؤله (126).

وقد جاء في "الإنصاف": "وفي هذا التهكم والتّقرّيع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها، ولقد حفظ الله عوامّ زماننا عن هذه المشية، وتورط فيها فراعونا وفعاونا" (127)، وقد قرّن الحقّ - تعالى - بين المرح والكبر؛ ذلك أنّ غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال، ولذلك علل بقوله: "إنك لن تحرق الأرض..."، والمعنى أنك لن تحرق بمشيك على عقينك كبراً وتنعماً، ولن تبلع الجبال بالمشي على صدور قدميك تفاخراً وطولاً، ونظيره: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً" (128).

أما التّمطي في الآية الثالثة فهو التّبخر، وقد تباين وجه القول على أصله الاشتقائي، فقيل إنّ الجذر المؤلّف هو من "المطأ"، وهو الطّهر، والمعنى المتعّين: يلوي مطأه، وقيل أصله "يتمطط"، والمعنى المتعّين التّمدد من التّثاقل والتّكسل، فكأنّه يتناقل عن الداعي إلى الحقّ، وفي هيئة تلك المشية دلالة على التّبخر وقلة الاكتراب، "فالمطيطاء التّبخر ومدّ اليدين في المشي" (129)، وقيل إنّ الآية نزلت في أبي جهل، "وإنّها كانت مشيته ومشيّة قومه بني مخزوم، وكان يكثر منها" (130).

(123) الآية (ياسين، 20).

(124) الآية (لقمان، 19).

(125) الآية (النور، 31).

(126) انظر: الزمخشري، الكشاف، 449/2.

(127) انظر: ابن المنير، الإنصاف، 449/2.

(128) الآية (الفرقان، 63)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، 34/6.

(129) انظر: القرطبي، الجامع، 75/19.

(130) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 381/8.

وَفِي مُقَابِلِ هَذِهِ الْمِشْيَةِ الْمَذْمُومَةِ وَالْمَذْمُومِ آتِيهَا مِشْيَةٌ أُخْرَى مُنْدُوبَةٌ ظَهَرَتْ فِي سِيَاقِ  
الآيَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ مِشْيَةُ الْمُؤْمِنِ فِي تَوَدَّةٍ، وَسَكِينَةٍ، وَحُسْنِ سَمْتٍ، فَلَا يَضْرِبُ بِقَدَمِهِ، وَلَا يَخْفِقُ  
بِنَعْلِهِ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا<sup>(131)</sup>، وَلِذَلِكَ وُصِفَ الرَّسُولُ فِي شِمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ بِأَنَّهُ كَانَ يَتَكَفَّأُ فِي مَشْيِهِ  
كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ<sup>(132)</sup>. وَفِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ تَظْهَرُ مِشْيَةُ الْمُتَأَدِّبِ الْمُسْتَحْيِي، فَقَدْ جَاءَتْهُ  
تَمْشِي مُتَحَفِّزَةً مُسْتَحْيِيَةً<sup>(133)</sup>.

أَمَّا مِشْيَةُ السَّعْيِ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْجِدِّ وَالْعِنَايَةِ، وَلِلسَّعْيِ أَمْسٌ مَعْنَى مُفَارِقٍ لِمَا رَانَ عَلَيْهِ  
إِلْفُنَا اللَّغَوِيُّ الْيَوْمَ؛ ذَلِكَ أَنَّنَا إِذَا أَنْعَمْنَا النَّظَرَ فِي دِلَالَتِهَا بِاعْتِبَارِ الْأَصْلِ لَا الْحَالِ، فَإِنَّا سَنَجِدُ  
أَنَّهَا كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي الْمَشْيِ<sup>(134)</sup>، وَقَدْ جَاءَ فِي اللِّسَانِ أَنَّ "السَّعْيَ عَدُوٌّ دُونَ الشَّدِّ،  
وَفِي الْحَدِيثِ "إِذَا أُتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوها وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَلَكِنْ أَنْتُوها وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ"،...، فَالسَّعْيُ  
هُنَا الْعَدُوٌّ، سَعَى إِذَا عَدَا"<sup>(135)</sup>.

وَتَظْهَرُ دِلَالَةُ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ الْمُتَعَيَّنَةِ مِنْ هَيْئَةِ هَذِهِ الْمِشْيَةِ "السَّعْيِ" فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-:  
"وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى"<sup>(136)</sup>، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ  
يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْقَوْمَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ..."<sup>(137)</sup>، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ مَنْزِلُهُ  
عِنْدَ أَقْصَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ كَذَّبُوا الرَّسُلَ، وَهَمَّوْا بِقَتْلِهِمْ، "جَاءَ يَعْدُو  
وَيَسْتَدُّ..."<sup>(138)</sup>.

<sup>(131)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 99/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 469/6.

<sup>(132)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 469/6، وقد أخرج الحديث الترمذي في السنن، باب ما جاء في

صفة النبي صلى الله عليه وسلم (3638)، 599/5، وابن حبان في الصحيح، ذكر وصف التكفي،

(6310)، 217/14، وابن أبي شيبة في المصنف، (31805)، 328/6.

<sup>(133)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 171/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 109/7.

<sup>(134)</sup> انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "سعى"، وابن قتيبة، تأويل المشكل، 509.

<sup>(135)</sup> انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "سعى"، والراغب في مفرداته يرى أن السعي المشي السريع، وهو

دون العدو، انظر: المفردات، 261.

<sup>(136)</sup> الآية (ياسين، 20).

<sup>(137)</sup> الآية (القصص، 20).

<sup>(138)</sup> انظر: الطبرسي، مجمع البيان، 202/8.

وأما في الآية الأخرى فقد شرح هينئة هذه المشية ودلالاتها أبو حيان فقال: "يسعى: يشتد في مشيه، ولما أمر فرعون بقتله خرج الجلاوة من الشارع الأعظم لطلبه، فسلك الرجل طريقاً أخرى أقرب إلى موسى" (139)، وللقاري أن يتخيل كيف ستكون هينئة مشية من يريد أن يقول لأخر يهيمه أمره إن الناس قد جمعوا لك ليقتلوك...إنها السعي والركض.

أما مشية الإشارة وصرب الأرض بالرجل إلهاباً وتتهيجاً فباعثة على ألفت النواظر، واستدعاء الشهوة من مكانها، وسيأتي فضل بيان مجل لها بعداً في باب القول على المتممات المساندة في هذه المباحثة.

### المتمّماتُ المُساندَةُ في التَّنزيلِ العَزيزِ

يشيع في درس لغة الجسد مطلب من البحث في المتممات المساندة التي تسمى "الإكسسوارات"؛ كالنظارة، والسيجارة، والسيجار، والقلم، والهاتف، والعصا، واللباس، والحذاء، وغير ذلك كثير كثير (140)، والظاهر من أمرها أنها تمدنا بمعانٍ مخصوصة؛ ذلك أن بعضها توابع لأعضاء الجسد المومنة، وكواشف للحالات النفسية والذهنية التي تعترى صاحبها، فهينئة حمل المرء لقلمه لها دلالة على أنه كتب، أو يكتب، أو يفكر مطرقاً ممسكاً بقلمه، وقد يصل الأمر أحياناً إلى قضم القلم (141).

ولنضرب مثلاً سريعاً من تراثنا العربي على دلالة بعض تلك المتممات المساندة، فالحجاج لما خرج يريد العراق واليا عليها، بدأ بالمسجد فدخله، فقال لما كتف عن وجهه:  
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أصع العمامة تعرفوني (142).

والذي أرادَه الحجاج، ومن قبله القائل ومن أتى مثل هذه الحركة، التهديد والوعيد المتحققان من حركة جسدية للمتممات المساندة، وهي العمامة، ودلالة أطرافها المفضية إلى أن يغدو صاحبها حاسر الرأس هي الجد والتشاغل عنها بهم، والظاهر أن الجاحظ في "البيان" قد التقى إلى هذه المتممات المساندة، ومن ذلك تعريجه على الإشارة التي قد تقع بالثوب وبالسيف، فقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً راداً، وقد يكون وعيداً وتحذيراً (143).

(139) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 106/7، والجلاوة مفردا الجواز، وقيل معناها الشريطي.

(140) انظر: باكو، لغة الحركات، 70-75، وانظر: Pease, Body Language, P.155-162

(141) تربط باكو هذه الحركة بالسعادة والانفعال أحياناً. انظر: لغة الحركات، 70.

(142) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 308/2.

(143) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 77/1.

وَقَدْ كَانَ لِلْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ ظُهُورٌ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، وَقَفُضَ فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّوَاصُلِ،  
وَلِنُنْظُرَ فِي ثَلَاثَةِ مُتَمِّمَاتٍ وَرَدَتْ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ اسْتِشْرَافًا لِذِلَالَتِهَا مِنْ جِهَةٍ، وَمَا رَمَى إِلَيْهِ  
الْحَقُّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

- أَمَّا أَوْلَاهَا فَالِنُّعْلُ الَّتِي بَدَأَ أَنْ خَلَعَهَا مَجْلَبَةً لِلتَّبَرُّكِ.
- وَأَمَّا ثَانِيهَا فَالْقَمِيصُ الَّذِي كَانَ مَنبَهَةً عَلَى حَصَصَةِ الْحَقِّ، مَدْعَاةً إِلَى الْوُقُوفِ  
عَلَى حَقِيقَةِ زَعْمِ رُمِي بِهِ بَرِيءٌ.
- وَأَمَّا ثَالِثُهَا فَالْخَلْخَالُ الَّذِي هُوَ مَفْسَدَةٌ فِي سِيَاقِ لَفْتِ النَّظْرِ وَإِبْدَاءِ الزَّيْنَةِ لِغَيْرِ مَنْ  
يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْآيَاتِ الشَّرِيفَاتِ الْآتِيَاتِ:
  - "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى" (144).
  - "وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ" (145).
  - "إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا  
مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (146).

أَمَّا "خَلْعُ النَّعْلَيْنِ" فَحَرَكَةٌ جَسَدِيَّةٌ تَنْتَسِبُ إِلَى الْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ، وَلَعَلَّ لَهَا دِلَالَاتٍ  
مُتَبَايِنَةٌ وَهِيَ مُجَرَّدَةٌ مِنْ سِيَاقِهَا، فَقَدْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ آتِيَهَا بِهِ أَدَى مِنْ رِجْلَيْهِ، أَوْ بِهِ مَسٌّ، أَوْ تَوَاضَعَ  
فِي مَقَامٍ مَا فَخَّلَ نَعْلَيْهِ تَبَرُّكًا وَتَطَامُنًا، وَلَعَلَّ الدِّلَالَةَ الْأَخِيرَةَ هِيَ الْمُتَعَيِّنَةُ مِنْ ذَلِكَ السِّيَاقِ، فَقَدْ  
قِيلَ إِنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَمَرَ بِذَلِكَ لِيُبَاشِرَ الْوَادِيَّ بِقَدَمَيْهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ، وَقِيلَ لِأَنَّ الْحَفْوَةَ  
تَوَاضَعُ لِلَّهِ، وَمِنْ ثَمَّ طَافَ السَّلْفُ بِالْكَعْبَةِ حَافِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَعْظَمَ دُخُولَ الْمَسْجِدِ بِنَعْلَيْهِ (147).

وَالَّذِي يَتَجَلَّى فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: "وَلَا يَضْرِبَنَّ" أَنَّ ثَمَّ نَهْيًا عَنِ الْإِثْيَانِ بِحَرَكَةِ جَسَدِيَّةٍ  
تَسْنُدُهَا بَعْضُ الْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ، أَعْنِي الْخَلْخَالَ، وَالْمَعْنَى الْمُتَعَيِّنُ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ  
تَضْرِبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِتَسْمَعَ صَوْتَ خَلْخَالِهَا؛ وَلَعَلَّ النَّهْيَ عَنِ ذَلِكَ كَالنَّهْيِ عَنِ إِبْدَاءِ  
الزَّيْنَةِ، فَإِسْمَاعُ صَوْتِ الزَّيْنَةِ، وَهِيَ مِنَ الْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ، كإِبْدَاءِ الزَّيْنَةِ فِي مَذْهَبِ  
الْقُرْطُبِيِّ (148)، وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا النَّهْيِ عَنِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ هُوَ التَّسْتُرُ، وَلَعَلَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ

(144) الآية (طه، 12).

(145) الآية (النور، 31).

(146) الآية (يوسف، 26-27).

(147) انظر: الزمخشري، الكشاف، 531/2.

(148) انظر: القرطبي، الجامع، 158/12.

هُوَ مَا وَقَعَ حَقًّا بِسَبَبِ مِنْ هَذِهِ الْفِعْلَةِ الَّتِي أَتَتْهَا امْرَأَةٌ اتَّخَذَتْ بُرْتَيْنِ مِنْ فِصَّةٍ، فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ فَضَرَبَتْ بِرِجْلِهَا الْأَرْضَ فَوَقَعَ الْخَلْخَالُ فَصَوَّتْ، "وَسَمَاعُ هَذِهِ الزَّيْنَةُ أَشَدُّ تَخْرِيكًا لِشَهْوَةِ مَنْ إِنْدَائِهَا"<sup>(149)</sup>.

وَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ حَزْمٍ بَعِيدًا فِي تَلْمُسِ حَفَايَا النَّفْسِ الْأَنْثَوِيَّةِ فِي إِنْثَانِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ وَالْمُتَمِّمِ الْمُسَانِدِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الرَّجَالِ قَدْ لَا يُلْتَقَتُ إِلَيْهَا، وَلَا يُشْعَرُ بِهَا، وَهِيَ تَكْرَهُ الْأَنْظَرَ إِلَيْهَا، فَإِذَا فَعَلَنَ ذَلِكَ نَبَّهَنَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ، وَذَلِكَ بِحُبِّهِنَّ فِي تَعَلُّقِ الرَّجَالِ بِهِنَّ، "وَهَذَا مِنْ حَفَايَا الْإِعْلَامِ بِحَالِهِنَّ"<sup>(150)</sup>.

أَمَّا الْقَمِيصُ، وَهُوَ مِنَ الْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ فِي قِصَّةِ يَوْسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَكَانَ ذَا سَهْمَةٍ كَبِيرَةٍ فِي تَشْكِيلِ الْقِصَّةِ وَحَبْكِهَا مِنْ مُفْتَتِحِهَا إِلَى مُنْتَهَاهَا:

- فَقَدْ كَانَ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ التَّسْتَرِّ فِي إِخْفَاءِ جَرِيْمَةِ طَرْحِ يَوْسُفَ أَرْضًا.
- وَسَبِيلًا أُخْرَى مِنْ سُبُلِ دَرْءِ التَّهْمَةِ عَنِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ.
- وَسَبِيلًا مُعْجَزَةً فِي شِفَاءِ النَّبِيِّ أَبِي النَّبِيِّ.

وَقَدْ ظَهَرَ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ التَّالِيَةِ:

- "فَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ"<sup>(151)</sup>.
- "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ"<sup>(152)</sup>.
- "أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا"<sup>(153)</sup>.

وَفِي بَابِ الْقَوْلِ عَلَى دَرْءِ التَّهْمَةِ كَانَ لِلْقَمِيصِ بَعْدَ الْمُرَاوَدَةِ صُورَةٌ وَدِلَالَةٌ أَفْضَتْ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي غَدَتْ سَائِرَةً عَلَى لِسَانِ نِسْوَةٍ فِي الْمَدِينَةِ قَائِلَاتٍ: امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا!! وَلَعَلَّ أَنْظَرَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمُعْجَبَةَ، وَالْمُتَبَصِّرَةَ فِي حَالِ ذَلِكَ الْقَمِيصِ، وَسَيْلَةَ مِنْ وَسَائِلِ

<sup>(149)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 158/12، وانظر ما قيل في هذه الحركة والتمتم المساند: الطبرسي، مجمع البيان، 192/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 414/6.

<sup>(150)</sup> انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 414/6، وانظر قول ابن حزم في طوق الحمامة، 121.

<sup>(151)</sup> الآية (يوسف، 18).

<sup>(152)</sup> الآية (يوسف، 26-28).

<sup>(153)</sup> الآية (يوسف، 93).

التَّحَقُّقِ وَالتَّنَبُّتِ فِي مَوْجِ السَّبِيهِ أَوْ الْجَرِيمَةِ، وَلَيْسَ يَفُوتُنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ يَتَسَبَّبُونَ بِمِثْلِ تِلْكَ التَّفْصِيَلَاتِ فِي مَسْرَحِ الْحَدَثِ، وَيَجْعَلُونَهَا مِنَ الدَّلَائِلِ الْهُوَادِي لِلْحَقِيقَةِ فِي غَايَتِهِمْ، وَلِلْمَعْنَى فِي غَايَتِنَا.

وَكَذَلِكَ كَانَ الْقَمِيصُ، فِي تَشْكِيلِ آخَرَ، وَإِخْرَاجِ مَشْهَدِيٍّ مُبَايِنٍ لِحَالِهِ بَعْدَ الْمُرَاوَدَةِ، وَسِيَلَةً مِنْ أُخُوَّةِ يَوْسُفَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ قَدْ أَكَلَهُ، فَاسْتَعَانُوا عَلَى مَقْصُودِهِمْ بِالْوَسِيلَتَيْنِ:

- الصَّائِنَةِ، وَهِيَ كَلَامُهُمْ وَقَوْلُهُمْ لِأَبِيهِمْ.
- وَالصَّامِتَةِ، وَهِيَ اسْتِزْفَادُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْمُتَمِّمَاتِ الْمُسَانِدَةِ الَّتِي تَوْهَمُوهَا فِي مَسْرَحِ الْجَرِيمَةِ الْمُضْطَنَّةِ.

وَكَانَ الْقَمِيصُ فِي سِيَاقِ ثَالِثٍ ذَا دِلَالَةٍ مُعْجِزَةٍ؛ إِذْ كَانَ رَدِيفًا لِلدَّوَاءِ، مَجْلَبَةً لِلشِّفَاءِ، مَشْهَدَةً بِحَيَاةِ صَاحِبِهِ وَوُجُودِهِ الَّذِي طَالَ انْتِظَارُهُ، «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ»<sup>(154)</sup>.

### الْحَرَكَةُ الْجَسَدِيَّةُ فِي جَنْبِ اللَّهِ:

وَقَدْ تَكُونُ الْحَرَكَةُ الَّتِي هِيَ فِي جَنْبِ اللَّهِ مِمَّا لَا يُحْمَلُ عَلَى مَحْمَلِ الْحَقِيقَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَاعِثُ عَلَى وَصْفِ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ، أَوْ إِثْبَاتِهَا فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، تَوْضِيحُ أَمْرٍ مَا بِالْتَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، «فَلِلْعَرَبِ الْمَجَازَاتُ فِي الْكَلَامِ، وَمَعْنَاهَا طُرُقُ الْقَوْلِ وَمَاخُذُهُ، فَفِيهَا الْاسْتِعَارَةُ، وَالتَّمَثِيلُ، وَالْقَلْبُ، وَالتَّقْدِيمُ، وَالتَّأخِيرُ، وَالْحَذْفُ، وَالتَّكْرَارُ، وَالْإِخْفَاءُ، وَالْإِظْهَارُ، وَالتَّعْرِيفُ، وَالْإِفْصَاحُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالْإِيضَاحُ،... مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ سَتَرَاهَا فِي «أَبْوَابِ الْمَجَازِ»، وَبِكُلِّ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ نَزَلَ الْقُرْآنُ»<sup>(155)</sup>.

وَمِنْ ذَلِكَ الْيَدُ الْجَارِحَةُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>(156)</sup>، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْجَسَدِيَّةَ إِنَّمَا يَأْتِيهَا الْمُتَحَالِفُونَ وَالتُّبَايِعُونَ، فَهَلْ لِلَّهِ يَدٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ؟ وَبِذَا سَيُحْمَلُ هَذَا الْخِطَابُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى وَجْهِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ، أَمْ كَانَتْ تِلْكَ الْحَرَكَةُ فِي سِيَاقِهَا تَوْضِيحًا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَبِذَا سَيُفْهَمُ عَلَى وَجْهِ مِنَ التَّنْزِيهِ؟ وَقَدْ أُوَلِّتِ الْيَدُ فِي تِلْكَ

<sup>(154)</sup> (الآية (يوسف، 96).

<sup>(155)</sup> انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، 21.

<sup>(156)</sup> (الآية (الفتح، 10).

الآية بالنعمة، أي نعمة الله في المبايعة لما يُستقبل من محاسنها، وقيل: قوة الله فوق قواهم في نصرِك ونصرهم، وقال الزمخشري: "أكد تأكيداً على طريقة التخييل، فقال: يدُ الله فوق أيديهم، والله -تعالى- مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَوَارِحِ، وَعَنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ"<sup>(157)</sup>، وقيل: يدُ الله في الثواب فوق أيديهم في الوفاء<sup>(158)</sup>.

والحق أن هذه الحركة الجسدية وما هو من نحوها في التنزيل العزيز مما أُلْحِقَ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ عُدَّتْ مِنَ الْمُتَشَابِهِ<sup>(159)</sup>، وَلَسْتُ إِخَالَ أَنْ مَلَمَحَ التَّشَابُهَ فِيهَا آتٍ مِنْ جِهَةٍ كَوْنِهَا مُشْكِلَةً حَقًّا، وَإِنَّمَا هُوَ آتٍ مِنْ تَبَايُنِ الْوُجُهَاتِ فِي الْمُعْتَقَدِ، وَطَرَائِقِ التَّكْيِيرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْوَارِدِ مِنْهَا فَكَانُوا عَلَى ثَلَاثِ شَعَبٍ:

- أُولَاهَا: تَغْيِيبُ التَّأْوِيلِ وَإِنْتِفَاؤُهُ، فَالآيَاتُ مُحْكَمَاتٌ تُفْهَمُ عَلَى ظَاهِرِهَا.
- وَثَانِيهَا: الْاِعْتِقَادُ بِالتَّأْوِيلِ مَعَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ.
- وَثَالِثُهَا: الْاِعْتِقَادُ بِالتَّأْوِيلِ مَعَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ عَزَّ<sup>(160)</sup>.

وَأَعْلَى الَّذِينَ قَالُوا بِتَغْيِيبِ التَّأْوِيلِ وَإِنْتِفَائِهِ قَدْ عَوَّلُوا عَلَى مُطَابَقَةِ الْمَعْنَى لِظَاهِرِ اللَّفْظِ، أَمَّا الَّذِينَ اعْتَقَدُوا بِوُجُوبِ حَمْلِ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ الْمَفْهُومِ مِنْ حَقِيقَتِهِ فَقَدْ بَدَأَ لَهُمْ اسْتِحَالَةُ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ نَكَرُ "الوجه"، فَقَدْ تَرَدَّدُوا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ؛ مَنْزِلَةَ الْأَخْذِ بِالظَّاهِرِ، وَمَنْزِلَةَ التَّأْوِيلِ<sup>(161)</sup>.

وَمِنْ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ صِفَةُ الْفُرْبِ، وَالْفَوْقِيَّةِ، وَالْمَجِيءِ، وَالرِّضَا، وَالْعَضْبِ، وَالْعَجَبِ<sup>(162)</sup>، وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ مَا جَاءَتْ إِلَّا فِي سِيَاقِ لُغْوِيٍّ كَرِيمٍ يَجْرِي مَجْرَى لُغَةِ الْعَرَبِ فِي مُخَاطَبَاتِهَا، وَكُلُّ صِفَةٍ تَسْتَحِيلُ حَقِيقَتُهَا عَلَى اللَّهِ تُعَسَّرُ بِإِلْزَامِهَا<sup>(163)</sup>، وَعِنْدَ هَذَا يَظْهَرُ الْمُتَدَبَّرُ بِرَوِيَّةٍ وَلُطْفٍ نَظَرٍ مُتَجَافِيًا عَنِ مَذْهَبِ الشُّطْطِ وَالتَّكْلُفِ فِي تَغْيِيبِ التَّأْوِيلِ أَوْ اسْتِحْضَارِهِ، بَلْ يَقْصِدُ إِلَى الْغَرَضِ الْمُتَعَيِّنِ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ كَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْمَعْنَى مِنْ سِتْرِ رَقِيقٍ، فَيُعَوِّلُ عَلَى

<sup>(157)</sup> انظر: الزمخشري، الكشاف، 543/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 92/8.

<sup>(158)</sup> انظر: القرطبي، الجامع، 177/16.

<sup>(159)</sup> انظر: الراغب، المفردات، 254، والزرکشي، البرهان، 78/2، والسيوطي، الإتيان، 685.

<sup>(160)</sup> انظر: الزرکشي، البرهان، 78/2.

<sup>(161)</sup> انظر: الزرکشي، البرهان، 80/2.

<sup>(162)</sup> انظر: السيوطي، الإتيان، 688.

<sup>(163)</sup> انظر: السيوطي، الإتيان، 692.

المعنى الكلي السياقي؛ ذلك أن جميع الأغراض النفسية: أعني الرحمة، والفرح، والسرور، والغضب، والحياة، والمكر، والاستهزاء، لها أوائل ولها غايات.

ومن ذلك "الغضب"، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المعصوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياة،... له أول، وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياة في حق الله على ترك الفعل لا على انكسار النفس" (164).

### المقولات الكلية:

لعله يستقيم بعد هذا العرض أن يقال إن في التنزيل العزيز نمطاً تواصلياً يمكن أن يسمى "لغة الجسد"، أو "التواصل غير اللفظي"، وجل ما تقدم قبلاً من دلالات، وهيئات، وحركات، كان نماذج جزئية يراد منها تجليته هذه الظاهرة عامة، وبيان بعض تجلياتها في التنزيل العزيز خاصة، والذي يأتي عقب ذلك هو الموجّهات الكلية التي تجمع نثار ما تقدم، وتجعله كالعقد الذي ينتظمه سلك جامع لأشغاله، وقد قسمت تلك المقولات الكلية إلى ثلاثة أقسام:

- أولها الاختراس.
- وثانيها التفسير.
- وثالثها الاستدراك.

### أولاً: الاختراس

أما الاختراس فهو أخذ في غورين اثنين:

أولهما أن ما ورد ههنا قليل من كثير يحتاج إلى مصنف قائم برأسه حتى يستغرقه بحثاً واستشرافاً، فنم الإشارة، والرمز، والوحي في القرآن الكريم، ومن ذلك إشارة مريم -عليها السلام- لما صامت عن الكلام، فلم تكلم في يومها ذاك إنسياً، فاسترقت من لغة الجسد عامة، والإشارة خاصة، التواصل والإبانة عن مكنون لفظها، وخاص جوابها ومُرادها، فكان ذلك كذلك، فردّ عليها قومها وفاء بما كان منها من لغة جسدية صامتة غير صائتة: "كيف تكلم من كان في المهدي صيباً" (165).

(164) انظر: السيوطي، الإتيان، 692.

(165) الآية (مريم، 29).

وَكذَلِكَ زَكْرِيَّا الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ آيَتَهُ أَلَّا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَإِحْيَاءَ قَائِمِينَ عَلَى التَّوَاصُلِ غَيْرِ اللَّفْظِيِّ<sup>(166)</sup>، وَمَا كَانَ أَكْثَرَ حُضُورَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ إِيمَاءَاتٌ تَوَاصُلِيَّةٌ، وَكَوَاشِفٌ لِحَالَاتِ نَفْسِيَّةٍ، وَدَوَالٍ عَلَى مَعَانٍ مَعْنَوِيَّةٍ، كَالْفَرْحِ، أَوْ الْحُزَنِ، أَوْ الْجَزَعِ، أَوْ الْخَوْفِ، وَهُنَاكَ وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنْ مَعِينٍ خَالِدٍ لَا يَنْضُبُ، وَهَذَا يَكْثُرُ إِنْ تَتَّبَعْتُهُ، وَقَدْ أُوْرِدَتْ أَمْثَلَةٌ تُنَبِّهُ عَلَى الْغَرَضِ الَّذِي قَصَدْتُهُ.

وَتَانِيهِمَا أَنَّ تَعْيِينَ مَعْنَى حَرَكَةٍ جَسَدِيَّةٍ مَا عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ بِمَعزِلٍ عَنِ السِّيَاقِ الَّذِي تَرِدُ فِيهِ، وَلَيْسَ يُنْسَى الْأَلْتِقَاتُ إِلَى مَا يُصَاحِبُهَا مِنْ حَرَكَاتٍ أُخْرَى تَتَرَفَّدُ وَتَتَضَافَرُ فِي الْإِبَانَةِ وَالْبَيَانِ<sup>(167)</sup>، فَالْحَرَكَةُ -وَقَدْ تَقَدَّمَتْ إِمَاحَةً إِلَى هَذَا- كَالْكَلِمَةِ، فَلَهَا دِلَالَةٌ مُجَرَّدَةٌ مَبْنُوثةٌ فِي بَطُونِ الْمُعْجَمَاتِ، وَلَهَا دِلَالَةٌ أَوْ دِلَالَاتٌ أُخْرَى تَتَبَايَنُ بِتَبَايُنِ السِّيَاقَاتِ، وَتَبَايُنِ مَا يُصَاحِبُهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى، وَهَذِهِ هِيَ حَالُ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي لُغَةِ الْجَسَدِ، وَمِنْ الْمُثَلِّ الْمُجَلِّيَّةِ لِهَذِهِ الْفِكْرَةِ صُورَةٌ نَاطِقَةٌ بِالْإِبَانَةِ عَنِ وَصْفِ حَالِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَصَفًا قَلْبِيًّا وَقَالِبِيًّا، فَالْحَقُّ يَقُولُ: "إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ"<sup>(168)</sup>، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَصَفٌ ذُو دِلَالَاتٍ لِحَرَكَاتٍ جَسَدِيَّةٍ نَسْتَعِينُ عَلَى تَعْيِينِهَا بِدِلَالَةِ السِّيَاقِ الْكَلِمِيَّةِ الَّتِي تَتَجَلَّى عَلَى جَوَارِحِهِمْ عَيْنًا، وَرَأْسًا، وَطَرْفًا، وَمَشِيَّةً<sup>(169)</sup>.

### ثَانِيًا: التَّفْسِيرُ

أَمَّا التَّفْسِيرُ فَالْمَقْصِدُ مِنْهُ بَيَانُ سُهْمَةِ الْحَرَكَاتِ وَقَضْلِهَا فِي الدِّلَالَةِ، وَالْإِبَانَةِ، وَالتَّوَاصُلِ عَلَى وَجْهِ كُلِّيٍّ ذِي عُمُومٍ اسْتِكْمَالًا لِمُتَطَلِّبَاتِ الدَّرْسِ، وَاسْتِشْرَافًا لِلْأَنْظَارِ التَّفْسِيرِيَّةِ، فَقَدْ بَدَأَ لِي أَنَّ الْحَرَكَةَ الْجَسَدِيَّةَ فِي سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ تُؤَدِّي أَعْرَاضًا وَوِظَائِفَ مُتَعَدِّدَةً، وَأَنَّ بِمُكْنَتِهِ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا مِنْ وُجْهَاتٍ مُتَبَايِنَاتٍ؛ كَالْوَجْهَةِ الدِّلَالِيَّةِ، وَالْوَجْهَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْوَجْهَةِ اللَّفْظِيَّةِ، وَالْوَجْهَةِ الْبَلَاغِيَّةِ الْجَمَالِيَّةِ، وَالْوَجْهَةِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَالْوَجْهَةِ التَّوْضِيحِيَّةِ.

<sup>(166)</sup> كان ذلك مصداقا لقوله -تعالى-: "قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"، الآية(آل عمران،

41).

<sup>(167)</sup> انظر:

Pease, Body Language, P.17.

<sup>(168)</sup> الآية (إبراهيم، 43).

<sup>(169)</sup> انظر ما قيل في هذه الآية: الطبرسي، مجمع البيان، 6/9-70، والقرطبي، الجامع، 9/247، وأبو

حيان، البحر المحيط، 5/418-419، والشريف الرضي، تلخيص البيان، 113.

- أما الوجهة الدلالية فقد تكون الحركة الجسدية من الروافد التي تُعْذِي المعنى، وتُعزِّزُ فكرته ودلالتَه الكليَّة؛ وذلك نحو قول الحقِّ -تعالى-: "إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبلَغَتِ القلوبُ الحناجرَ، وتظنُّونَ باللهِ الظنونا"<sup>(170)</sup>، ولعلَّ استشرافَ السِّياقِ البنيويِّ يُفضي إلى أن تكونَ الحركةُ الجسديَّةُ المُنعينيَّةُ في قوله -تعالى-: "وإذ زاغَتِ الأبصارُ" تدلُّ على الخوفِ ورَمي النَّظرِ في تخوِّفٍ وتخطُّفٍ، وليس يخفى، من وجهةٍ أُخرى، أنَّ هذه الدلالةُ تتعيَّنُ من قولهِ -تعالى- الذي جاءَ عقبها: "وَبَلَّغَتِ القلوبُ الحناجرَ"، فَالحركةُ الجسديَّةُ ههنا رافِدٌ مهمٌّ يعزِّزُ المعنى المُتشكَّلَ في سِياقِهِ البنيويِّ اللَّفظيِّ، ولعلَّ أصدَقَ ميسمٍ يُمكنُ أن يُسبِّحَ على هذه الحركةِ، وعلى ما هو من نحوها، أنَّها من الروافدِ المُعزِّزةِ للمعنى.

- وأما الوجهةُ النَّفسيَّةُ فقد تكونُ الحركةُ من الكواشفِ لحالاتِ نفسيَّةٍ؛ ذلك أنَّها وردتْ في سِياقها الشَّريفِ على سبيلِ وصفِ حقيقةٍ عاشها فُطِبَّ من أقطابِ الحديثِ أو الحدِّثِ الكلاميِّ؛ ذلك أنَّها وقَّعتْ فعلاً؛ ثمَّ وصفها اللهُ لنا على أنَّها كواشفٌ لحالاتِ نفسيَّةٍ، ومنها دلالاَتُ الرُّأسِ الخفيصِ المُتطامنِ في مقامِ التَّنكيسِ والازتِكاسِ، ومنها كذلك قولُهُ -تعالى-: "تدورُ أعيُنُهُم"<sup>(171)</sup>، فالِدلالةُ المُنعينيَّةُ من هذه الحركةِ الجسديَّةِ مُنبئةٌ عن حالِ نفسيَّةٍ تعتري أهلها في ذلك السِّياقِ وما يُلْتَفُ بهم من أحوالٍ، وأهوالٍ، وقرائنٍ.

- وأما الوجهةُ اللَّفظيَّةُ فقد تُعْذو الحركةُ الجسديَّةُ مما يبدُ مسدِّ كلمةٍ، أو كلامٍ، أو كلماتٍ، فيكونُ الوصفُ الحركيُّ في سِياقِهِ الشَّريفِ قائماً على مبدَأِ الاعتِياضِ، كما في قولِ الحقِّ -تقدَّسَ اسمُهُ-: "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا"<sup>(172)</sup>، ولعلَّ قولُهُ "يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ" يعني في مُعجمِ الحركاتِ الجسديَّةِ في هذا السِّياقِ النَّدمَ، وكانَ السِّياقُ اللَّفظيُّ: "فَأَصْبَحَ نادِماً عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا..."، فكانتْ تلكَ الحركةُ من البدائلِ التي تقومُ مقامَ سِياقِ لفظيِّ، إنَّ كلمةً، وإنَّ جُملةً، وإنَّ كلاماً كما في قولِ الحقِّ: "فَأشارتْ إِلَيْهِ"<sup>(173)</sup>.

- وأما الوجهةُ البلاغيَّةُ الجماليَّةُ فقد تُعْذو الحركةُ الجسديَّةُ في سِياقها الشَّريفِ ذاتَ ألقٍ مُشعٍ يبعثُ في نفسِ المُتلقيِّ إعجاباً واستزجاجاً للقولةِ الماثورةِ المُفضيَّةِ إلى التَّقريرِ بأنَّ له حلاوةً، وأنَّ عليه طلاوةً، وأنَّ أعلاهَ لمُتمِرٌ، وأنَّ أسفلهُ لمُعْدِقٌ، وما هو بقولِ بشرٍ،

(170) الآية (الأحزاب، 10).

(171) الآية (الأحزاب، 19).

(172) الآية (الكهف، 42).

(173) الآية (مريم، 29).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تعالى-: "يُقَلِّبُ كَفَيْهِ"<sup>(174)</sup>، فَلِلْمَرْءِ أَنْ يُعِيدَ عَلَى صَاغِي سَمْعِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرُّوِيَّةِ وَالتَّدْبِيرِ البَوْنِ الْمُتَجَلِّي بَيْنَ قَوْلِ النَّاسِ "فَأَصْبَحَ نَادِمًا"، وَقَوْلِ رَبِّ النَّاسِ: "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ".

- وَأَمَّا الوَجْهَةُ التَّرْبَوِيَّةُ فَقَدْ تَعَدُو الحَرَكَةُ الجَسَدِيَّةُ فِي سِيَاقِهَا القُرْآنِيَّ الشَّرِيفِ ذَاتِ أَفْقٍ تَرْبَوِيٍّ يَصْرِفُ الأَبْصَارَ تِلْغَاءً مَا هُوَ مَنُذُوبٌ يُبِيحُهُ الشَّارِعُ، فَيَحْتُ عَلَيْهِ، أَوْ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ يَمْجُهُ الشَّارِعُ فَيَعَاقِبُ عَلَيْهِ، وَمِنْ تَجَلِّيَاتِ الأُولَى قَوْلُ الحَقِّ فِي حَضْرَةِ قُدْسِ الذَّاتِ، وَالتَّجَلِّي، وَالتَّكْلِيمِ: "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوى"<sup>(175)</sup>، وَمِنْ تَجَلِّيَاتِ الأُخْرَى قَوْلُ الحَقِّ مُؤَدِّبًا، وَمُحَذِّرًا، وَمُنْكَرًا عَلَى مَنْ يَأْتِي هَذَا المَحْظُورَ المُسْتَهْجَنَ مِنَ الحَرَكَاتِ الجَسَدِيَّةِ، وَالمُتَمَثِّلِ فِي وَصْفِهِ جَسَدِيًّا وَحَرَكَيًا: "وَلَا تُصَعِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ"<sup>(176)</sup>، وَ"وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرْحًا"<sup>(177)</sup>، وَ"وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ"<sup>(178)</sup>.

### ثَالِثًا: الاسْتِدْرَاكُ

أَمَّا ثَالِثَةُ الأَثَافِي فِي بَابِ القَوْلِ عَلَى المَقُولَاتِ الكَلِمَةِ فَالاسْتِدْرَاكُ، وَبِاسْتِجْمَاعِ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَكُونُ الحَرَكَةُ الجَسَدِيَّةُ فِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ مِنَ الرُّوَادِ، أَوْ الكَوَاشِفِ، أَوْ السَّوَادِ، أَوْ النُّوَاقِلِ، أَوْ المَحَاسِنِ:

- مِنَ الرُّوَادِ المُعَزَّزَةِ لِلْمَعْنَى.
- أَوْ الكَوَاشِفِ المُجَلِّيَةِ لِالأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ وَالهَيْئَاتِ المَقَامِيَّةِ.
- أَوْ السَّوَادِ القَائِمَةِ مَقَامَ بَسْطِ مِنَ الكَلَامِ وَتَطْوِيلِ.
- أَوْ النُّوَاقِلِ الَّتِي تَنْقُلُ لَنَا صُورَةَ الحَدِيثِ بِلَفْظِهِ وَحَرَكَتِهِ الَّتِي وَقَعَتْ حَقًّا لَا تَجَوُّزًا.
- أَوْ المَحَاسِنِ البَيَانِيَّةِ المُعْجِبَةِ البَاعِثَةِ فِي النَّفْسِ إِمْتَاعًا وَمُؤَانَسَةً.
- وَقَدْ تَجَمَّعُ هَذِهِ الدَّلَالَاتُ جَمِيعُهَا أَوْ جُلُّهَا فِي حَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَشَكِّلَةٍ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، كَمَا فِي قَوْلِ الحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "فَصَكَّتْ وَجْهَهَا"، فَهَذِهِ الحَرَكَةُ مِنَ السَّوَادِ الَّتِي سَدَّتْ مَسَدًا قَوْلَنَا: "فَتَعَجَّبْتُ مُنْكَرَةً مُسْتَهْجِنَةً"، وَمِنَ الكَوَاشِفِ النَّفْسِيَّةِ المُنْبِئَةِ عَنِ حَوَاشِي نَفْسِ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ بُشِّرَتْ بِحَمَلٍ فَوِلَادَةٍ، وَمِنَ النُّوَاقِلِ الَّتِي وَصَفَتْ لَنَا ذَلِكَ الحَدِيثَ الكَلَامِيَّ، فَنَقِلُ لَنَا بِنَصِّهِ وَبِصَلِّكَ الوَجْهَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ العُجُوزُ حَقًّا لَا تَجَوُّزًا، وَمِنَ المَحَاسِنِ

<sup>(174)</sup> تقدم تخريجها.

<sup>(175)</sup> الآية (طه، 12).

<sup>(176)</sup> الآية (لقمان، 18).

<sup>(177)</sup> الآية (الإسراء، 37).

<sup>(178)</sup> الآية (النور، 31).

البَيَانِيَّةُ الْمُعْجِبَةُ الَّتِي تُثِيرُ فِي النَّفْسِ اسْتِحْسَانًا، وَمِنْ الرّوَاغِدِ الْمُعَزَّزَةِ لِلْمَعْنَى فِي سِيَاقِهِ  
اللَّفْظِيِّ الْقَائِمِ عَلَى هَيْئَةٍ قَصَصٍ يَشْتَمِلُ عَلَى خِطَابِ قُرْآنِيٍّ حِوَارِيٍّ أَوْ سَرْدِيٍّ ذِي طَرَأَةٍ،  
بَلْ فَرَادَةٍ، بَلْ إِعْجَازٍ.

وَبَعْدُ، فَهَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ، وَأَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِهَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ فَاتِحَةً لَا خَاتِمَةً، فَاتِحَةً لِأَبْحَاثِ  
أُخَرَ: لِمَعْجَمِ لُغَوِيِّ يَرِصُدُ أَلْفَاظَ الْحَرَكَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي لُغَةِ التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، أَوْ لِكِتَابِ يَسْتَشْرَفُ هَذِهِ  
الظَّاهِرَةَ اسْتِشْرَافًا شَامِلًا وَافِيًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَنْظَارِ اللَّغَوِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ، وَهَذَا مَا يَعْكُفُ  
عَلَيْهِ الْبَاحِثُ.

### ثبت المصادر والمراجع:

- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط1، دار  
مجدلاوي، عمان، 1993م.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء،  
1986م.
- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (215هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى قراة،  
ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.
- الأصفهاني، أبو بكر محمد بن أبي سليمان (297هـ)، الزهرة، تحقيق إبراهيم السامرائي،  
مكتبة المنار، الزرقاء، 1985م.
- الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (577هـ)، أسرار العربية، ط1، تحقيق  
فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، 1995م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (256هـ)، صحيح البخاري، ط3، تحقيق قاسم  
الرفاعي، دار الأرقم، بيروت، 1997م.
- بيز، ألن، مهارات تحقيق المبيعات الناجحة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت،  
1999م.
- تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،  
د.ت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق  
مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، دمشق، 1997م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1990م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط4، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990م.
- جيرو، بيير، علم الإشارة، ترجمة منذر عياشي، ط1، دار طلاس، دمشق، 1992م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- خليل عمارة، في التحليل اللغوي، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، 1987م.
- خليل عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، ط1، عالم المعرفة، جدة، 1984م.
- دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م.
- الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1961م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م.
- روي آرمز، لغة الصورة في السينما المعاصرة، ترجمة سعيد عبد المحسن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1992م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة، 1977م.
- سمير دبابنة، نافذة على تعليم الصم، مؤسسة الأراضي المقدسة (منشورات منظمة المبادرات "initiatives" لتعليم الصم)، السلط، ط1، 1996م.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، بإشراف عبد المنعم إبراهيم، ط2، مكتبة نزار الباز، الرياض، 1998م.

- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (406هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (-5هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (328هـ)، العقد الفريد، شرح أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الأندلس، بيروت، 1996م.
- أبو عبيدة، مَعْمَر بن المثنى (210هـ)، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، محمد الخانجي، القاهرة، 1962م.
- علي زيعور، اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1991م.
- الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (505هـ)، المستصفى في علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، 1994م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد نجاتي، ومحمد النجار، الدار المصرية، القاهرة، 1955م.
- القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم (356هـ)، الآمالي، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، 1973م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (276هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- القرطبي، محمد بن أحمد (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، 1980م.
- أ. كوند راتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، ترجمة إدور يوحنا، وزارة الإعلام، بغداد، (د.ت).
- ماجدة سيد عبيد، القاموس الإشاري للصم، ط1، نشر على نفقة المؤلفة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1992م.

- مارفين لوشكي، التمثيل الصامت: فهم وأداء الصمت المعبر، ترجمة سامي صلاح، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- محمد عبادة، الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984م.
- محمد كشاش، لغة العيون: حقيقتها، مواضيعها، أغراضها، مفرداتها، ألفاظها، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (711هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- مهدي عرار، سياق الحال عند الإمام الغزالي في المستصفى: دراسة دلالية تواصلية، مجلة العربية، ع 39، أمريكا، 2002.
- مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتواصل، ط1، دار وائل، عمان، 2003م.
- مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، مجلة دراسات، المجلد 33، العدد 1، 2006م.
- نازك عبد الفتاح، مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، ط1، دار قباء، القاهرة، 2002م.
- نتالي باكو، لغة الحركات، ط1، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، 1995م.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ)، شرح صحيح مسلم، ط3، دار القلم، بيروت، د.ت.
- ابن هشام، جمال الدين بن هشام (761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد حمد الله، ط2، مكتبة سيد الشهداء، (د.ن)، 1972م.
- اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى (237هـ)، غريب القرآن وتفسيره، تحقيق عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

#### الإنجليزية:

- Albert E., Scheflen, Alice Scheflen, Body Language and Social Order: Communication as Behavioral Control, Prentice-Hall, Englewood Cliffs, 1972.
- Downes, W., Language and Society, 2<sup>nd</sup> edition, Cambridge University, Cambridge, 1998.
- Hess, E., The Tell-Tale Eye, Van Nostrand Reinhold, New York, 1975.

- Mitchell, M. E., How to Read the Language of the Face, Macmillan, New York, 1968.
- Paul, L., Visual Communication: Images with Messages, Wadsworth Publishing Company, California, 1995.